الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر

الموضوع:

الوطن في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

محمد ديب –أنموذجاً–

إعداد الطالب:
معزوز سمير

إشراف:
د/ بن يحي فتيحة

لجنة المناقشة		
أ/الدكتورة	سفير بدرية	رئيسا
الدكتورة	بن يحي فتيحة	مشرفاً ومقرراً
الدكتورة	رحماني ليلى	ممتحناً

العام الجامعي: 1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة لإنجاز هذا العمل وإلى أداء هذا الواجب ووفقنا وأعاننا عليه.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما وجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف بن يحي فتيحة.

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لنا في اتمام بحثنا.

ولا يفوتنا أن نشكر كل أساتذة وموظفي جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان– الجزائر.

سمير معزوز

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن تُوفي حَقها حقهُما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تُحصي فضائلهُما

إلى الوالدَين العزيزين أدامهما الله لي

إلى أختي الوحيدة سلمى معزوز

إلى كُل أفراد العائلة الكبيرة وكُل من يحمل لقبي

إلى كُل أصدقاء الطُفولة وأصدقاء الدِراسة

إلى كُل طَلبة السنة ثانية ماستر

إلى كُل زملائي وزميلاتي

إلى كُل من سقط قلمي سهواً

أهدي هذا العَمل إلى من ربتني وأنارت دَربي وأعانتني بالصلوات والدَعَوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوُجُود أُمِي الحَبيبَة.

إلى من عَمل بكد في سبيلي وعَلَمني معنى الكِفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه، أبِي الكَريم.

إلى جميع أساتذتي الكِرام في كُلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها.

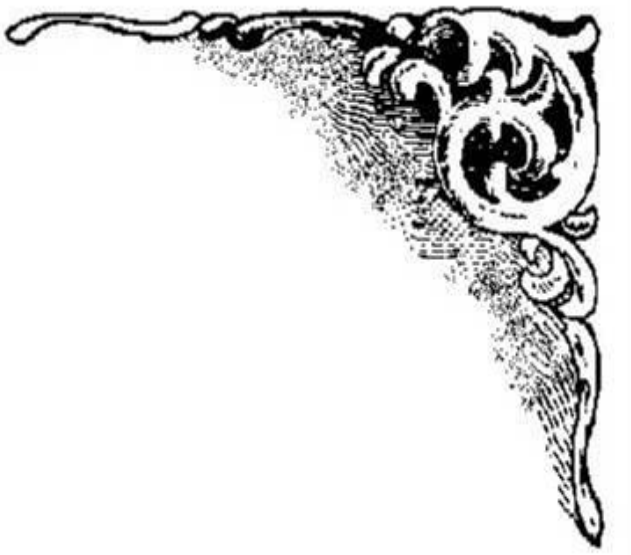

مقدمة

مقدمة:

في فترة الاستعمار كانت اللغة الفرنسية في الجزائر منتشرة ونشأ جيل من الكُتاب الجزائريين لا يعرفون اللغة العربية ولا يمكنهم التعبير بها عن مشاعرهم إلا باللغة الفرنسية، فواصل هؤلاء الكُتاب طريقهم بالتعبير بها واستغلال فرصة الدفاع عن جزائريتهم عن طريق كتاباتهم الروائية التي نالت إعجاب الجمهور المطالع لها، فهذه اللغة ما هي في نهاية المطاف إلا أداة للكتابة، وقد استطاع الكُتاب الجزائريين بأن يجعلوا من هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كأدب عالمي ذُو قيمة فنية عالية مكنتهُ من نيل العديد من الجوائز الوطنية والدولية، لكنه وبالمقابل خلق إشكالية الانتماء والهوية، وموقفه من التغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية للتعبير عنها بثقافته وأفكاره بلغة المستعمر المكونة له وحاملا للثقافة الفرنسية التي تشبع بها أثناء مزاولته لدراسته ، فالقارئ الجزائري للرواية الجزائرية لم يتقبل فكرة الكتابة الروائية بلغة المستعمر ومن جهة أخرى يرى الروائيون أنهم يواجهون المستعمر بلغته حتى لا يستطيع تشويه صورة الجزائر الحقيقية ويجد أمامه أدباء مثقفون يتقنون اللغة الفرنسية بامتياز؛ فالأدب الجزائري وُلد من رحم المعاناة للشعب الجزائري وكانت فرصة للأدباء الجزائريين لكتابة هموم شعبهم والتعبير عن آلامهم بطريقة فنية وتدوينها في مؤلفاتهم الروائية ويقفون حصناً منيعاً ضد أساليب القمع الاستعمارية.

كان الأدب الجزائري المكتوب بلغة المستعمر في فترته مابين الحربين رداً قوياً على السياسة الاستعمارية لفرض وجوده في الساحة الأدبية لكنه لم يتحرر في شكله الأدبي إلا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد مجازر 08 ماي 1945م. فكانت بذلك ولادة الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عسيرة جداً، وهذه الظاهرة في الكتابة الروائية بلغة المستعمر لم تمس فقط الجزائر بل مست كذلك بلدان أخرى من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كل هذه البلدان عانت من نفس المعضلة وأصبحت بذلك تستعمل اللغة الفرنسية المسيطرة آنذاك.

كما خلقت مشكلة انتماء من مبدأ عدم القدرة على مقارنة أدبين إلا من خلال الحدود اللسانية وهذا ما يتعلق بالأدب المقارن الذي يعتمد في دراسته لمثل هذه القضايا؛ لذا فإن أولى

بدايات الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في فترة ما بين الحربين قد تضررت من إشكاليتي الهوية وظاهرة الإدماج الذي تبناهُ ظاهرياً هؤلاء الكُتاب كخطاب أيديولوجي للتعبير عن انبهارهم الشديد بالحضارة الفرنسية. ومن المؤكد أنَّ هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بقي مجهولا ومهشماً عند ظهوره في البداية ليس إلا من عند الجمهور الواسع ولكن حتى من طرف الباحثين الاختصاصيين بالأدب الفرانكفوني إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ومع ذلك فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تثبت مكانتها وتكشفت النقاب عن ما قيل عنها أنها فرنسية الأصل والهوية وأجابت بكل ثقة أنها من روح عربية جزائرية وأنّ هذا الأدب يحمل هموم وقضايا عربية أصيلة ويستعمل فقط اللغة الفرنسية للتعبير بحكم الظروف المواتية لذلك في تلك الفترة الاستعمارية. فحاول مجموعة من الأدباء المثقفين إسماع صوت الجزائر إلى الطرف الآخر عن طريق لغته، وهذا ما دفعنا إلى تناول موضوع الجزائر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وذكر الأدباء الجزائريين الذين استطاعوا من خلال أعمالهم الأدبية الراقية أن يبرزوا صورة الجزائر الحقيقية ويسمعوا صوتها إلى العالم. كأمثال مولود معمري، مولود فرعون، كاتب ياسين، آسيا جبار، محمد ديب ومالك حداد وغيرهم. بعكس الاستعمار الذي حاول تشويه صورة الجزائر بأنها أجمل وأن شعبها يعيش في الرخاء.

انطلاقا مما سبق من اعتبارات ذاتية وموضوعية إذ كان لابد من هذه الدراسة كمحاولة منا لنمكن القارئ من الإطلاع على مدى تعلق هذا الإنتاج في أصول الأدب الجزائري حتى ولو تأثر شكلا ومضمونا بالرواية الفرنسية عامة وبالأدب الكولونيالي خاصة فإننا ملزمون بالإجابة على النقاط الرئيسية للموضوع حتى يدرك القارئ بأن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مرت بمراحل صعبة وعانت كثيرا في بداياتها فكانت أولى هذه النصوص الأدبية رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون، الرِّاية التي طبعها على حسابه في سنة 1950م، قبل أن تنال "جائزة مدينة الجزائر" وتُشتهر ويُعاد طبعها في باريس في سنة 1954م، فكانت الرِّواية صرخة لفتى جزائري من منطقة القبائل يقول فيها "ها أنا ذا أتعلم في المدارس الفرنسية وأنال أكبر الشهادات برغم الفقر والتمييز العنصري، فكتب مولود فرعون عن الطفل الجزائري الناجح في دروسه بخلاف الصورة التي رسمها

المستعمر وهي صورة الطفل الحمال في السوق وبعدها يأتي محمد ديب بروايته "الدر الكبيرة" في سنة 1952م منددا بواقع الجزائر والجزائريين الذين يتخبطون في الذل والمهانة والفقر والجهل والجوع والظلم ثم بعدها يأتي ديب لينشر رواية أخرى في الجزء الثاني من ثلاثية الجزائر تحت عنوان "الحريق" التي تنبأت بقيام الثورة التحريرية بعد صدورها بأشهر، فكانت بذلك الرِّوايَّة الجزائريـة المكتوبة بالفرنسيـة في الخمسينيات معبرة حقاً عن هموم الشعب الجزائري، استطاعت تصوير واقع وأحلام الجزائريين تصويرا دقيقاً دون التشكيك في أمره، فمن خلال هذه النصوص الأدبية أدرك العالم حجم المعاناة للشعب الجزائري تحت نار الاستعمار الهمجي وأحس بطعم المعاناة التي يتذوق مرارتها الشعب الجزائري.

ومما أكد على نجاح الروايات الأدبية هو إعجاب النقاد الفرنسيين بمستوى اللغة الفرنسية المستعملة، بأنها ليست تصوير عن واقع الجزائر القاسي وإنما هي أيضا تُحفة فنية أدبية راقية لا تقل جمالاً ولا ثراءً عن نصوص كبار الكُتاب العالميين، فكانت روايات محمد ديب ومولود معمري ومولود فرعون تُقارن بالكلاسيكيات الواقعية الكبرى وكذلك كاتب ياسين ومالك حداد الذين أحدثوا ثورة في جمالية الكتابة بالنسبة للسرد والشعر وهذا ما يدل على عبقرية الكاتب الجزائري الذي استطاع من خلال اللغة الفرنسية أن يبدع بكل ما يملك من أفكار قوية ويعتبرها "غنيمة حرب" وأنه في حالة دفاع عن الوطن ويستعمل اللغة الفرنسيـة ليقول للفرنسيين بأنه ليس فرنسياً وإنما جزائري الأصل واللغة ما هي في نهاية المطاف إلا وسيلة للكتابة الروائية لتحقيق أهداف تتناقض مع أهداف المستعمر.

فالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مع استقلال الجزائر وجد هؤلاء الكتاب أنفسهم مع واقع جديد واختيارات جديدة وأفكار جديدة لقد رحل الاستعمار الذي كانوا يحاربونه بسلاحه؛ فكل كاتب وكيف سار في طريقه فمنهم من اتجه نحو المسرح ومنهم من توقف عن الكتابة ومنهم من غير أفكاره الروائية وبقي يكتب باللغة الفرنسية. فهذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الذي يتمثل في الرواية هو أحد نتائج الاستعمار الفرنسي وذلك عن طريق اتصال الثقافة الجزائرية بالثقافة الفرنسية والأدباء الجزائريون استعملوا اللغة كوسيلة للتعبير عن أوضاع

المجتمع الجزائري والتعاطف مع قضيته العادلة وتصوير حقيقة الجزائر في تلك الفترة عكس ما أراد الاستعمار تشويه صورتها، فمحمد ديب أحد الكُتاب الذين آمنوا بالثورة ورفضوا واقع الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي وكانت كتابته بلغة العدو بمثابة سلاح لمحاربة الاستعمار الفرنسي.

فالرواية إذن تُعد جنس أدبي راقي وما هي في الأصل إلا حكاية من ناحية يريد الكاتب أن يرسل رسائل مشفرة للقارئ ومنها يريد الكاتب من خلالها أن يحكي حكاية لها معنى من خلال ما تأثر به من واقع مجتمعه وما يريد أن يتعاطف مع قضاياه وتعتبر فن من الفنون ليعبر بها الكاتب عن ما يحمله في داخله من أفكار تعيش في مخيلته.

والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية كانت سمتها المميزة التعبير عن تناقضات الواقع ومأساوياته إبان فترة الاحتلال الفرنسي. فبفضل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية استطاع هؤلاء الكُتاب أن يوصلوا منتجاتهم الفكرية للقارئ، حتى وإن كانت اللغة تختلف عن اللغة الأم فإنهم لا يختلفون في الجنسية الجزائرية، فقد قدموها في لوحة فنية راقية، وما قد يبدو من الوهلة الأولى أن أعمالهم تتقارب بشكل كبير مع الأعمال المكتوبة باللغة العربية في الثقافة والفكر وتشارك الأفكار فيما بينهم. يمكن القول أن بحثنا يتعلق بالكاتب الكبير محمد ديب الذي يعتبره النقاد هو أب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. أنه استطاع أن يترك أعمال خالدة بإنتاجه الأدبي للأجيال القادمة وترك بصمته في الساحة الأدبية و لم يتوقف عن الكتابة إلى أن وافته المنية عن عمر ناهز ثلاثة وثمانين سنة. فديب روائي وشاعر وكاتب قصص وصُحفي.

يحاول بحثي هذ أن يسلط الضوء على بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وعن ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وعن الحديث عن الكُتاب الجزائريين الذين برزوا في تلك الفترة وتركوا بصمات خالدة في الساحة الأدبية، إلا أن سؤالاً جوهرياً يبقى محتاجا للإجابة عليه وهو: هل استطاع هؤلاء الكُتاب الجزائريون الأصل من الانتصار على المستعمر في تلك الفترة؟

ولكي نجيب على هذا التساؤل نحاول تحليل الأعمال الأدبية من خلال ما اطلعنا عليه في مؤلفاتهم التي بقيت كأعمال شاهدة على إبداعاتهم آنذاك، حتى يكون مجال بحثنا أوسع بكثير ومستعينين بالدراسات النقدية السابقة.

وقد سرت في دراستي إلى تقسيم بحثي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، مذكرة موسومة بـ: "الوطن في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية" نفتح من خلالها أجمل صفحات من تاريخ الروايات الجزائرية في فترة الاستعمار ومختلف مراحل تطورها.

فانطلقت في إنجاز هذه المذكرة بناءاً على خطة بحث ومن جملة من الإشكاليات التي أقمت عليها موضوع البحث ومنها:

1- من هي شخصية الأديب محمد ديب؟ وما هو أسلوبه في الكتابة؟ وما هي أهم مؤلفاته؟

2- كيف كانت بدايات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية؟

3- تعريف الرواية ؟ وكيف نشأت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ومن هم أعلامها؟

4- ما ذا كتب محمد ديب عن الجزائر في تلك الفترة؟

ومحاولة مني الإجابة على هذه التساؤلات ارتأيت تقسيم بحثي إلى ثلاثة فصول:

بعد المقدمة يأتي **الفصل الأول** تحت عنوان نبذة عن سيرة الأديب محمد ديب وقد قمت بتقسيمه إلى مبحثين، كان الأول حول حياة محمد ديب مولده، دراسته، الجوائز المحصل عليها وعن آثاره الخالدة.

وفي المبحث الثاني حول اللغة الروائية المستعملة في كتابات محمد ديب وتحدثت فيه عن أسلوبه في الكتابة.

أما في **الفصل الثاني** الذي يحمل عنوان نظرة على بدايات الرواية الجزائرية، فتناولت في المبحث الأول على مفهوم الرواية نشأتها وتطورها، عند الغرب وعند العرب.

أما في المبحث الثاني فتناولت فيه أنواع الرواية الجزائرية وعن نشأتها لكل من المكتوبة بالفرنسية والمكتوبة بالعربية.

أما في ما يخص الجزء التطبيقي من مذكرة البحث في **الفصل الثالث** الذي جاء تحت عنوان الجزائر في الأدب والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول بعنوان في تجربة الكتابة باللغة الفرنسية الذي تحدثت فيه عن إشكالية اللغة المستعملة من

طرف الأدباء وعن اتخاذ الأدب للغة الفرنسية وتحدثت فيه عن الرواية الجزائرية آنذاك وعن أبرز كُتاب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

أما المبحث الثاني إلى يحمل عنوان الجزائر في ثلاثية محمد ديب وكنت قد تحدثت فيه عن الرواية المشهورة لمحمد ديب وعن أجزائها الدار الكبيرة والحريق والنول.

وفي المبحث الثالث الذي تكملة للمبحث الثاني حمل عنوان في أسلوبية الكتابة الروائية للرواية الثلاثية لمحمد ديب. وفيه تحدثت عن طريقة الكتابة والتعبير التي جاءت في الثلاثية و ختمت هذا البحث المتواضع بخاتمة تستخلص ما جاء في الرواية الجزائرية وكيف كانت بداياتها وعن أهم النقاط التي مرت بها الرواية إلى وصولها إلى العالمية.

وقد تم الاعتماد على المناهج التالية: المقارن والوصفي والتاريخي فالمنهج التاريخي ساعدني لتتبع تاريخ الرواية الجزائرية المعاصرة وفي المقارن على دراسة هذا الأدب الذي دار حولهُ جدال عميق وعن جنسيته أما المنهج الوصفي لمعرفة سبب اختلاف النُصوص من كاتب لأخر وعن قوة التأثير في القارئ.

فبحثي هذا واجهتني فيه صعوبات وعقبات حاولتُ تخطيها أبرزها: قلة المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع، وصعوبة الحُصول على كُتب ذات أهمية بالغة للموضوع المعالج، ورغم كُل الصعوبات التي واجهت طريقي عملتُ جاهداً على الحُصول على أكبر قدر مُمكن من المراجع والمصادر من البحث المُستمر. فتحية شكر لمن قدم لي يد المساعدة على إتمام وإنجاز هذا البحث المُتواضع من قريب أو من بعيد على أكمل وجه.

وأخيرا نحمد الله سبحانه وتعالى الذي ألهمنا الصبر وزودنا الطاقة اللازمة للوصول بدراستنا هذه إلى مراحلها الأخيرة.

الفصل الأول

الفصل الأول: نظرة على شخصية الأديب محمد ديب.

قبل أن نتحدث عن حياة محمد ديب يجب أولاً أن نشير إلى الخصوصية التي تميز كتاباته الأدبية، وفي أي إطار أدبي كتب رواياته ؟

نقول أن الخصوصية التي ميزت كتاباته هي أن روايات محمد ديب واقعية حيث تبنى المذهب الواقعي في كتاباته وذلك نتيجة الوضع السياسي في وطنه، هذا الوضع الذي كان يهدف إلى القضاء على كيان أمة بأكملها، ولقد أراد كاتبنا أن تكون الرواية الواقعية شُعاعاً ينير هذا الكيان ويعيد له الاعتبار، وجاء هذا الكيان على شكل بنية اجتماعية لها ميزتها في أعماق التاريخ وهذا بالذات ما يميز الشكل الروائي الواعي لدى الكاتب عن بقية الأشكال الأخرى، إذ أن هدف الكاتب في مثل هذا الوضع هو إعادة الاعتبار لهذا الكيان الاجتماعي، وقد كتب أيضاً في إطار الأدب الذي استدار لغة قوم غير قومه، لكنه لم يقدم أدباً لهُ طابع المستعمر رغم استخدامه لغة المستعمر، ولكنهُ فرض أدباً حُراً ومتحرراً لم يكن تابعاً للأدب الفرنسي، وكشفت كتابات محمد ديب المتنوعة عن مواهبه ككاتب وعن طاقاته وقدراته العديدة وهذا ما نجده في ثلاثيته التي أسمها بثلاثية الجزائر، حيث وصفها بالجزائر المستعمرة وكانت طريقته في التعبير تتميز بالخصوصية المحلية والعالمية في آن واحد.

المبحث الأول: حياة محمد ديب.

أ) مولده ودراسته:

ولد محمد ديب بمدينة تلمسان في 21 جويلية 1920م، بدأ دراستهُ في مدينته الأصلية ثم واصلها بمدينة وجدة المغربية، ونظراً للظروف التعليمية آنذاك لم ينمكن من تعلم اللغة العربية الفصيحة وبعد فترة وجيزة أصبح يتقن اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية الدارجة.

لم يعرف محمد ديب الحياة البائسة التي وصفها في روايته "الدار الكبيرة" عكس ما ذهب إليه بعض النقاد إذ اعتبروا أن هذه الرواية هي ترجمة لشخصية الكاتب [1].

١ – يوسف الأطرش: المنظور الروائي عند محمد ديب، الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 2004، ص 95 .

كان والده حرفياً، اشتغل في النجارة وصناعة الزرابي، حتى توفي سنة 1931م، فورث الابن عن أبيه حرفة صناعة الزرابي، بعد طفولة عادية بدأ محمد ديب يواجه صعوبات الحياة التي أخذت تحوله شيئاً فشيئاً، إذ بدأ يكتب أشعاراً منذ سن الرابعة عشر بدافع غريزي، كما كان يهوى الرسم في هذه المرحلة من حياته، التي لم يتحدد شيء فيها بالنسبة للمستقبل، عُيّن سنة 1939م مُدرساً في قرية زوج بغال على الحدود المغربية المسماة العقيد لُطفي حالياً. ساعدهُ الحظ إذ أنهُ لم يجند خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنهُ قضى الفترة ما بين 1940-1949م في الخدمة المدنية كموظف في السكة الحديدية الجزائرية بمدينة وجدة المغربية، ثم انتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة وعين مترجماً لدى الحلفاء باللغة الفرنسية و الانجليزية.

عاد إلى مدينة تلمسان سنة 1945م، واشتغل مصمماً للزرابي التي تصنع تحت رقابته وفي سنة 1949م بدأ محمد ديب يشارك في اللقاءات الثقافية التي كانت تنظمها مصلحة التربية الشعبية. عمل صحفياً في جريدة "الجزائر الجمهورية" في الفترة ما بين 1950-1952م في هذه الجريدة بدأ ينشر أشعاره، وبعض المقالات والتعليقات، وقد كان يشتغل في هذه الصحيفة إلى جانب كاتب ياسين. وقد اختص ديب في تتبع أخبار المسرح الناطق بالعربية الدارجة، وكان في هذه الفترة عضواً بارزاً في نقابة الفلاحين وكان يدافع بمرارة على حقوق الفلاحين والعمال كما كتب في صحيفة الحُرية وهي لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري Parti colonialisme algérien.

ظهرت لهُ مجموعة من المقالات أثناء هذه الفترة ومن أشهرها "المثقفون الجزائريون والحركة الوطنية" ظهرت لهُ في 26 أفريل 1950م، ومقال بعنوان "ألف عامل في إضراب في منطقة عين طاية" الذي ظهر في 25-27 أفريل 1951 م، وكذلك مقال بعنوان "لماذا يجب أن نقرأ الروايات السوفيتية" هذا إلى جانب عدة ترجمات وكتابات مختلفة".[1]

تزوج محمد ديب سنة 1951م بـ "كوليت بليسون " فرنسية الأصل و أنجب منها أربعة أطفال وفي سنة 1952م، قام برحلة إلى فرنسا بعد أن ترك وظيفته كصحفي مباشرة وقرّر أن

١ - يوسف الأطرش: المرجع السابق، ص 60.

يتفرغ للأدب. توفي الأديب محمد ديب في 02 ماي 2003 م بسان كلو La celle saint-cloud إحدى ضواحي باريس بفرنسا.

ب) مؤلفاته:

ظهرت روايتهُ الأولى "الدار الكبيرة " "La grande maison" سنة 1952م، ثم تبعتها كتابات عديدة في ميدان القصة والشعر، وفي سنة 1954م ظهرت روايته الثانية "الحريق" "L'incendie" وكذا قصيدة "أشعار الجزائر" في سنة 1955م، صدرت مجموعته القصصية الشهيرة "في المقهى" وفي سنة 1957م، ظهر الجزء الثالث من الثلاثية "النُول" "Le métier à tisser" وعُرفت هذه الثلاثية بثلاثية الجزائر ".[1]

ومن خلال اطلاعه الواسع مع الآداب الأجنبية فقد تأثر بالكاتبة الأمريكية "فرجينيا وولف" وهي روائية انجليزية، من كتاب المقالات تزوجت سنة 1912م من ليونارد وولف الناقد والكاتب الاقتصادي، وهي تُعد من كتاب القصة "الثائرين" كانت روايتها الأولى ذات طابع تقليدي مثل رواية "الليل والنهار" 1919م، واتخذت فيما بعد المنهج المعروف بمجرى الوعي أو تيار الشعور كما في"غرفة يعقوب" 1922م، والسيدة دالواي" 1925م، اشتغلت بالنقد ومن كتبها النقدية "القارئ العادي" 1925م و"موت الفراشة ومقالات أخرى" 1943م، كتبت القصة القصيرة وظهرت لها مجموعة بعنوان الاثنين أو الثلاثاء، انتحرت غرقاً خوفاً أن يصيبها انهيار عقلي.

كما كان تأثره بالكتاب الإيطاليين الذين ثاروا ضد الفاشية، جعله إلى جانب هذا وذاك، يتبنى أشكالاً فنية تمكنهُ من التعبير عن النزوات المكبوتة وعن هموم المثقف الجزائري، الذي يواجه وضعاً تاريخياً لا مفر منهُ، وعلى هذا الأساس جاءت رواياتهُ الأولى، ونخص الثلاثية منها أشبه بكثير من حيث بنائها الفني بالرواية الأمريكية والإيطالية ومتميزة بخصوصيتها في التعبير عن مشكلات المجتمع الجزائري.

١- يوسف الأطرش: المرجع السابق، ص 61 .

نفتهُ السلطات الفرنسية من الجزائر سنة 1959م، نظراً لمواقفه المعادية للسياسة الاستعمارية وفي السنة نفسها ظهرت له رواية بعنوان "صيف إفريقي" "Un été africain" أقام ديب في موجان، بقي هناك خمس سنوات أصدر خلالها خمس كتب، سافر بعدها إلى ألمانيا الشرقية، و إلى بولونيا و إلى تشيكوسلوفاكيا واستقر بعدها في لا سيل سان كلو إحدى ضواحي باريس.

إن نتاج محمد ديب غزير جداً، فإلى جانب الأعمال التي ذكرناها صدرت لهُ في سنة 1962م رواية "من يتذكر البحر" "Qui se souvient de la mer"ورواية "مجرى على الحافة المتوحشة" "Cours sur la rive sauvage" سنة 1964 م ورواية "رقصة الملك" "La Danse du roi" سنة 1963م، ثم رواية "إله في الوحشية" "Dieu en barbarie" سنة 1970م وهي الجزء الأول من ثلاثية جديدة أعلن عنها الكاتب، وفي سنة 1973 م ظهرت رواية "سيد القنص" "Le maitre de chasse"الجزء الثاني من الثلاثية الجديدة التي لم يصدر الجزء الثالث منها.

وفي سنة 1977م ظهرت رواية "هابيل" "Habel" التي تعالج موضوعاً يختلف تماماً عن موضوعات الروايات السابقة، وآخر رواية صدرت لهُ هي رواية "سطوح أوراسول" "Les terasses d'orsol" سنة 1985 م، وزيادة على هذا النتاج صدرت لهُ عدة مجموعات قصصية، ودواوين شعرية، منها المجموعة الشعرية "الظل الحارس" "Ombre gardiénne" سنة 1961م، ثم مجموعة أخرى بعنوان "صيغ " "Formulaires"سنة 1970م. [1]

ج) الجوائز المحصل عليها:

وقد تحصل الكاتب محمد ديب على عدة جوائز تشجيعية وتكريمية اعترافاً بموهبته وسعة رؤيته منحت لهُ جائزة "فنيون "Féneon" سنة 1952م عن روايته الدار الكبيرة. ومنحت لهُ كذلك جائزة "روني لا بورت "René la porte" سنة 1961م على المجموعة الشعرية "الظل الحارس" ثم منحت لهُ الجائزة "الاجتماعية" سنة 1963م، ثم جائزة المعهد الشعري لمونتان سنة 1964م، ثم منحت لهُ جائزة اتحاد الكُتاب الجزائريين سنة 1966م، وجائزة أكاديمية الشعر على

[1]- يوسف الأطرش: المرجع السابق، ص 61.

مجموعة عمله سنة 1971م ثم منحت لهُ جائزة جمعية كتاب اللغة الفرنسية سنة 1978م عن رواية "هابيل" [1].

د) آثاره الخالدة:

كان الأديب محمد ديب من بين الأدباء الذين كتبوا باللغة الفرنسية فقد ترك لنا عدة أعمال روائية نالت شهرة كبيرة على المستوى الوطني والعالمي من بينها:

رواية الدار الكبيرة التي كانت في سنة 1954م، رواية الحريق سنة 1954م ورواية النُول التي كانت في سنة 1957م.

سميت هذه الروايات بثلاثية الجزائر وهي تُعتبر من أشهر رواياته فكلها تشترك في الحديث عن حالة الحرمان والفقر والتخلف. [2]

وقد أوردها النُقاد بعدة تسميات منها إلياذة الجزائر كما سمَّاها الشاعر الفرنسي "لويس أراغون "Louis Aragon"، بمذكرات الشعب الجزائري، فاستحق بذلك الأديب محمد ديب اسم بلزاك الجزائر عن جدارة واستحقاق وذلك بفضل مجهوداته الإبداعية الرائعة التي لم تخرج يوماً عن طموحات الشعب الجزائري. [3]

إضافة إلى أعمال أدبية أخرى منها: [4]

- صيف إفريقي Un été africain سنة 1959م.
- من يذكر البحر Qui se souvient de la mer سنة 1962م.

١- يوسف الأطرش: المرجع السابق، ص 62، 63 .

٢ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 100.

٣ - واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 73.

٤ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 101.

حيث عرضت أنواع الدمار الذي هدم القرى والدواشر جراء قصف المَدافع وقنابل الطائرات وما خلفتهُ الحرب من تشرد للسكان.

- رقصة الملك La danse du roi سنة 1968م.

المبحث الثاني: في طريقة الكتابة الروائية باللغة الفرنسية لمحمد ديب:

أسلوب محمد ديب في الكتابة الروائية:

محمد ديب بدأ شاعراً ثم انتقل إلى عالم الرِوايَـة، إنَّ الشاعر يختلف عن الشخص العادي فهو يقدس الكلمة فيؤلف بتجميعها تناغماً يستميل به العقول والقلوب معاً ولهذا السبب فكلامه ليس لأجل الكلام. في رواية "هابيل" يقول ديب: "العالم يتكلم دوماً أكثر من اللازم، ويتعب نفسه في الكلام، فالعالم حينما يتحدث وكأنه مجبر على ذلك، فهو يفعل ذلك لا لأجل أن يوضح وجهات نظره، أو لأجل الاعتراف أو لإبعاد خطر ما أو حتى لقول شيء يحمل قيمة ما وإنما يتكلم حتى لا يبقى صامتاً، كلام لأجل الكلام، لا غاية من ورائه". [1] ولأن الشعر لا يسمح كالنثر أن يخلق انسجاماً إنسانياً ونفسياً بين الشخصيات الحقيقية والخيالية يفضل الأدباء أن ينتقلوا إلى عالم النثر.

"**أنا شاعر بالدرجة الأولى ومن عالم القصائد انتقلت إلى الرواية وليس العكس**" هكذا صرح ديب في مقابلة صُحفية. [2] كانت الكِتابة سواء الشعرية أو النثرية بالنسبة إلى محمد ديب، جهاداً لأجل الحُرية فقد كَتب سنة (1950) قائلاً: "سخرت الطبقة المثقفة قوى إبداعها لخدمة الجزائريين المضطهدين، فهذا الإبداع قدم ثقافة وأعمالاً لا تقل قوة عن الأسلحة الحربية لاسترجاع الحرية". [3] وقد علق جان سيناك □□□□□ □□□□، أحد الكُتاب الجزائريين حين صدور الدَار الكَبيرة قائلاً: "إنهُ نوع من الكُتب التي تسبق الثورات، والتي تُخطط لهذه الثورات، إذا كان للكلمة نصيب من السُلطة". [4] ويؤكد هذه الفكرة أي ارتباط الكلمة بالتفعيل الثوري ما ذكرته إحدى شخصيات رواية"رقصة المَلك" رس ش ص خ دش س خ أ خب فالشخصيات تتقوى

1- Mohammed Dib, Habel, éd du seuil 1977, pp 30-31.

2- Naget Khadda, L'œuvre romanesque de Mohammed Dib, office des publications universitaires, Alger, 1983, p318(à déclaré M-Dib dans un interview Afrique-action, mars 1961)

3- Jean Déjeux, Situation de la littéraire maghrébine, p53 (Les Intellectuels algériens et le mouvement national, Alger républicain, 26 avril 1950)

٤ – الزاوي أمين: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830 إلى 1982 ماجستير 1983 دمشق –سوريا، ص 320.

بالكلام، فإذا كانت تُناضل لأجل الحُرية، فنضالها كذلك لأجل الحفاظ على كلماتها. تتحدى الجميع وتفرض وجودها بفضل خطابها الذي يمثل السلاح الوحيد الذي تمتلكهُ. "لم يتمكن أحد من إغلاق فمي حينما أرغب في الكَلام. لا، لم يولد هذا الشخص بعد، ولن يُحاول معي ذلك اليوم". [1] فأعمل ديب الأدبية شكلت سِلاحاً في مرحلة ما قبل الاستقلال قبل أن تتحول إلى مجرد أعمال فنية، إذ بعد أن نالت الجزائر حريتها وضع ديب أسلحته وكرس مجهوده ووقتهُ لمهنة الكَاتب الحِيادي.

ولتصـوير المُجتمع، اعتمد محمد ديب على الشمولية الفنية، فجمع كل العناصر التي يحتاجها لتقديم واقع خيالي، يقول عن ذلك: "على الكاتب أن يكون طموحاً في خلق عالم كلي وشمولي". [2] ولهذا يشبه عمله بالبناء، فهو انتهى من جمع كل المواد التي يحتاجها ولكن العملية سوف تتم بشكل تدريجي، وما نشر لا يمثل إلا جزء محدوداً لمجموعة أكبر وأوسع، إنه يجمع المواد ويباشر العمل بمراحل، ولهذا نجد همه الأساسي في بداياته الأولى كتابة نصوص سهلة لغتها بسيطة وشديدة التأثر بكلاسيكيات الأدب الفرنسي. فالثلاثـية تقدم عند هذا الكاتب بوصفها نقلاً لوقائع إخبارية ويومية لسكان مدينة تلـمسان، فهذه الثلاثية هي شهادة ومرافعة، تتبنى بشكل تلقائي التوجه الفني الواقعي والخطاب اللغوي الذي يناسبها. فهذا الخطاب يرافق شخصية عمر من مرحلة الطفولة البائسة التي رغم ذلك لا تخلو من السعادة البريئة إلى دخوله عالم العمل في جو ثقيل محمل بالقلق والكآبة الوجودية، ومحمل بالتهديدات الناجمة من الصراع الطبقي والسياسي، كما نجد في الخطاب فترات من الهروب إلى عالم الرِيف، عالم الممنوعات "الحب والصداقة " وهذا البعد الذي أشرنا إليه في الثلاثية أوحى إلى بعض النُقاد إلى تقريب شخصية الكاتب "محمد ديب" من شخصية عمر معتقداً أنهُ كتب نفسهُ. [3]

1 - Mohammed Dib, La Danse du roi, éd du seuil 1968, p 171.

2 - Naget Khadda, Mohammed Dib, cette intempestive voix recluse, centre des écrivains du sud 2003, p 22.

٣ – ينظر: الزاوي أمين، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 320.

حررت الكتابة عند محمد ديب الأصوات الممنوعة أو الأصوات التي لا تصل أو تسمع كأصوات النساء والفلاحين والأطفال. فالكاتب يَحمل مسؤولية نقل معاناة الشعب وأماله فهو أقرب إلى الكاتب العمومي أو المنقذ المنتظر، فهناك عقد معنوي يربط الكَاتب –حسب محمد ديب– بشعبه، فتكون الالتفاتة دوماً تجاهه ومن ثم تتحول هذه الالتفاتة نحو كل العالم لتقديم الشهادة وتبيان مدى علاقة الخصوصي العربي الإسلامي مع الإنساني والعالمي وتبيان أنَّ البشر يتشابهون ويختلفون وحينما يوصفون بشكل مختلف فذلك بغية أن يساعد ذلك على مقاربتهم بمن نعرفهم. ويقول في ذلك: "...نحن نعيش المأساة المشتركة، إننا ممثلون في هذه التراجيديا... وبتحديد أكثر، يبدو أنَّ هناك عقداً قد أبرم بيننا وبين شعبنا". [1]

ومثلما تحررت الأصوات المقموعة في رواياته تحرر محمد ديب نفسه، فموهبته التي تشبعت بالعمل الدؤوب وحب الحقيقة دفعتهُ إلى عدم الانقطاع عن الكتابة كما حدث لغيره، فهل الكاتب إلا ذلك المُبدع الذي يكتب المخطوط تلو المخطوط ، وهل يمتلك الفنان خيارات أخرى غير الإبداع؟ فذاك قدره أن يحمل أمانة الكلمة وأن يتحول إلى سكرتير المجتمع المنتظر والموعود. ففي الثلاثية –الحريق– ينقل ديب هذا الدور على لسان شخصية "بادعشوش الشيخ": –اه .. ليت واحداً فقط يعرف كيف يقص على الناس قصة الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون. ألا ما أكثر ما يستطيع عندئذ أن يقوله، وليته بعد أن ينتهي من الكَلام عن الفلاحين المساكين، يتحدث عن حياة الأبهة التي يعيشها المستوطنون الفرنسيون، ليسري عن مستمعيه ويروح عنهم. [2]

يصف ديب في رواياته الحالات الإنسانية التي أصبحت حياتها تفتقد الأمل ولا ترجو من وجودها نفعاً ، فقد رغب أن يقدم لشعبه المتألم يد العون بالكلمة ، فهدفهُ الأساسي ونيته الأولى تمثلت في إقناع القارئ الأجنبي فرنسياً كان أو غير ذلك وإعلامه بحالة موجودة مع توجيه الاتهام إلى الواقع الاستعماري. حيث نراه يقول: "..كأي جزائري كنت أناضل على الساحة الأدبية التي

1- Mohmmed Dib, je ne suis pas de ces humiliés. Interview de jean cartier, témoignage chrétien février, 1958 p 10 (Jean Déjeux, littérature Maghrébine de la langue française, éd Naaman, 1973, p 147)

٢ – محمد ديب: الثلاثية، تر: سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 1968، ص ص 192-193.

اخترتها ميدانياً للكفاح، وذلك عن طريق التعريف بوقائع بلادي والحقائق التي تعيشها، مقتسماً أتعاب وأحلام بلادي مع أولئك الذين يقرؤون أعمالي". [1]

يشرح ديب المأساة الجزائرية بتقديم لوحة تصويرية سوداء ونجد "جون ديجو" يعاتبه ويتهمه بنقل الصور والمظاهر المنحطة السوداء فقط وكأن الوجود الفرنسي لم يحمل معه إلا الشرور وقسوة الأحاسيس والكلمات.

لقد وضح محمد ديب في مقابلاته الصحفية أنه يكتب -بالخصوص- للجزائريين والفرنسيين، ومرد ذلك أن يئس من الوضعية الاستعمارية ومن ذلك الفرنسي الذي لا يرى في البلاد إلا الجانب المضيء والجميل، ألم يطالب كاتبنا الفرنسيين النُزهاء والشُرفاء أن يرفعوا أصواتهم للتنديد بالقمع والظُلم "فأصواتهم اللامبالية هي التي تسببت في تقويتهم، ألم تُرتكب أعنف الأعمال على أرضنا، باسم فرنسا ؟ ألم تُستملك الأراضي والخيرات وتُسرق في مجملها باسم فرنسا ؟ ألم يُسجن الأبرياء باسم فرنسا ؟ ألم يُجوع الشّعب باسم فرنسا ؟ ألم يُقتل باسم فرنسا ؟ لقد رافق اسم فرنسا كل الأعمال الدنيئة. ولن يتمكن أحد من إقناعنا أنَّ هذه الجرائم لا تنسب إلى فرنسا، في نهاية المَطاف، لا يهمنا مطلقاً أن تكون هذه البِلاد عظيمة ومجيدة. لأن السُؤال الأساسي هو هل يقبل ذلك أو لا يقبل ؟ وليتحرك منهم من يرفض هذه الجرائم وليرفعوا أصواتهم وليوصلوها إلينا. [2]

أما الكتابة باللغة الفَرنسية ونفي العديد من أدباء المغرب العربي في هذه اللّغة، فإنَ ديب يرى أنَّ الأمر طبيعي جداً ولا يؤدي إلى التعجب والاندهاش، فالكتابة بلغة أخرى غير اللّغة الأم يقارب المصيبة ولكنهُ أمر واقع، ولهذا لا تغيب العربية مطلقاً في أعماله.

---

١ - أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830 إلى 1982، رسالة ماجستير، جامعة دمشق -سوريا، 1983م، ص 321.

2- Mohammed Dib, L'incendie, éd du Seuil 1954, p92.

ويمكن أن نلمس في أسلوب محمد ديب انتماءاً عربياً وتمسكاً بالأصالة الجزائرية، ويؤكد على ذلك صحة الرأي الذي يرى بأنَّ اللّغة الفَرنسية كانت مجرد أداة. ويبرهن على أنَّ الثقافة الفَرنسية لم تنجح أمام سيطرة البيئة العربية والتُراث اللغوي الجزائري.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: نظرة على بدايات الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الأول: مفهوم الرواية نشأتها وتطورها.

تعريف الرواية:

حين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن هذه اللفظة تدل على التفكير في الأمر، وتدل على نقل الماء وأخذه كما تدل على نقل الخبر واستظهاره فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء روي من الماء بالكسر، ومن اللبن يروي رياً... ويقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل... والرواية المزادة فيها الماء...ويقال روي فلان فلاناً شعراً إذا رواهُ له متى حفظه للرواية عنهُ، قال الجوهري رويت الحديث والشعر رواية فأنا راوٍ في الماء والشعر، من قوم رواة، ورويته الشعر ترويه أي حملته على روايته. [1]

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم فقد جاء فيه أنَّ الرواية: "سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية" [2]. أما معنى الرواية كما نعرفه حديثا فقد أطلقه العرب على ناقل الشعر فقالوا رواية وبذلك قصدوا وجود تشابه معنوي بين الارتواء الروحي من جراء سماع الشعر أو استظهاره بالإنشاد والارتواء المادي وهو شرب الماء. وذلك أن الصحراء عند العرب قديماً توفرت على عنصرين مهمين الماء والشعر. ويتضح أن أصل معنى رواية هو الاستظهار. [3]

ومن المعروف أنّ هذا الفن الأدبي المتمثل في الرواية، فن حديث نسبياً، لم يمض على ظهوره من ثلاثة قرون في العالم الغربي، ولا أكثر من قرن ونصف قرن في عالمنا العربي. بيد أنَّ هذا الجنس الأدبي تخلق حين تخلق جنساً مرناً، قادر على الهضم والتمثلِ والإفادة من فنون أخرى.

---

١ – ابن منظور: قاموس لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، إصدار 1995م، برمجة وتنظيم طراف خليل طراف مادة "روي". نقلاً عن طبعة دار صادر، بيروت– لبنان– 1990م.

٢ – فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية. ط 1، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية 1988م، ص 176.

٣– ينظر: مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية، دار الغرب، د.ت، ص 28، 29.

وقد وصفهُ "نجيب محفوظ" بالفن الذي يُوفق مابين شُغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال... وما بين غنى الحقيقة وجموح الخيال اجتهدت الرواية في أن تمتلك صفات الأجناس الأدبية الأخرى، وأن تُفيد من فنون مختلفة غير الأدب، فالرواية الأمريكية مثلاً تتبادل مع السينما طرقاً مختلفة، والرواية الجديدة في أوروبا تقتبس من الموسيقى طرقاً في التأليف. وبعض الروايات المعاصرة يفيد من تقنيات المسرح، ومن مزايا القصة القصيرة وشؤونها، ومن وهج الشعر ولغته المشحونة وصوره المثيرة ومجازاته الرائعة. [١]

الرواية من حيث هي جنس أدبي قائم بذاته له قوانينه وقوالبه، وهي أيضاً مساحة إبداعية واسعة النطاق، تقطنها شخصيات وذوات متعددة ومتفاوتة، تغمرها فضاءات زمنية ومكانية متغيرة، تحركها وتحكمها آلية أو آليات قصصية متشبعة ومتفرعة فتشحنها بدلالات تبدو لأول وهلة ذاتية التكون وهو ما يوحي بالمظهر، لتعبر عن قابلية تكونها بغيرها، وهو ما يوحي بالعمق. فالرواية إذن كائن حي تتشكل بذاتها وبغيرها، وهذا لا يعني أنها مجرد كيفية وحسب، بل هي مكون جمالي حيوي له قدرة لا متناهية على البقاء، حالهُ في ذلك حال الرُوح بعد زوال الجسد. [٢]

ويجدر الإشارة إلى أن حجم الرواية الذي تتميز به عموما بالطول، مما حدا بالباحث المغربي حميد الحمداني إلى القول: "الميزة الوحيدة التي تشترك فيها جميع أنواع الروايات هي كونها قصصاً طويلة". [٣] ويضيف الكاتب نفسه قائلاً: "وقد لاحظنا أنَّ ما يعتبره أغلب النقاد في العالم العربي ككل رواية لا يقل في الغالب عدد صفحاته عن ثمانين صفحة من القطع المتوسط". [٤]

ومن هنا يجدر الإشارة إلى نقطتين نحسبهما على قدر من الأهمية، الأولى هي ضرورة التفريق بين الأشكال القصصية الآتية: الرواية، القصة، القصة القصيرة. والنقطة الثانية أن هذه

١ – عادل فريجات: مرايا الرواية، دراسات تطبيقية في الفن الروائي، منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق–سوريا، الطبعة 3، 2000، ص 9.

٢– عزيز نعمان: جدل الحداثة وما بعد الحداثة في نص "سيمُرغ" لمحمد ديب، منشورات مخبر تحاليل الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو– الجزائر، الطبعة 1، 2012، ص 13.

٣ – حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الرباط –المغرب، الطبعة 1، 1985م، ص80.

٤ – المرجع نفسه، ص80.

الأشكال الثلاثة لا تختلف عن بعضها في الحجم فقط، فليست الرواية قصة طويلة، بل إن هناك مميزات للرواية على النحو الأتي: [1]

1- أن الحديث في القصة جرى في الزمن الماضي، أما في الرواية فيجري في الزمن الحاضر.

2- وبالنسبة للأحداث فهي تسرد في القصة وفقاً لمخطط سببي وزمني وتفسيري، أما الرواية فتركز على الشعور بكثافة الأحداث.

3- أن ماضي الشخصية الروائية ليس إلا ذكرى، ومستقبلها مبهم، وتتميز بغزارة المعلومات والذكريات الكثيرة، بخلاف القصة التي تختصر جملة من الأحداث في عبارة واحدة.

وكما تختلف الرواية عن القصة فهي تختلف أيضاً عن القصة القصيرة التي تقول عزيزة مريدن في تعريفها: "إنها قصة قصيرة تصور جانباً من الحياة الواقعية يحلل فيها الكاتب حادثة معينة أو شخصية ما أو ظاهرة من الظواهر أو بطولة من البطولات بلا تفصيل". [2]

وبذلك يمكن أن نقول أن الرواية في تعريفها هي جنس أدبي، تقدم نصوص نثرية تعطي قيمة جمالية للأدب ويختلف أسلوب الكاتب من كاتب لآخر على حسب نظرته الفنية وطريقة سرده للحقائق والوقائع، وخياله الواسع، وإدماجه للشخصيات والزمان والمكان والحبكة والحدث، وربطه لمجريات الأحداث من خلال ما تأثر به من بيئته التي عاش فيها الكاتب، فهي إذن الرواية بحد ذاتها فن قائم بذاته.

أ- ظهور الرواية عند الغرب:

كانت الرواية في الغرب جنس أدبي مستقل إلا في العصر الحديث، حيث تميزت بفرض وجودها وبشكلها الخاص في الأدب الغربي، وارتبط مصطلح الرواية بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر، فحلت هذه الطبقة محل الإقطاع الذي تميز أفراده بالمحافظة والمثالية والعجائبية، وعلى العكس من ذلك فقد اهتمت الطبقة البرجوازية بالواقع

---

١ - ميشيل رايمون: بصدد التمييز بين الرواية والقصة، ترجمة: حسن بحراوي، طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات ومنشورات اتحاد كُتاب المغرب. الطبعة 1، 1992م، ص ص 177-178.

٢ - عزيزة مريدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971 م، ص13.

والمغامرات الفردية، وصور الأدب هذه الأمور المستحدثة بشكل حديث اصطلح الأدباء على تسميته بالرواية الفنية. [1]

فالسمة البارزة للرواية الفنية انكبابها على الواقع، وعليه فالرواية تبدأ في أوروبا منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر، والحديث عن خصائص الإنسان، وهناك من يعتبر رواية "دونكيشوت" لِـ "سرفانتس" أول رواية فنية في أوروبا كونها تعتمد على المغامر والفردية. [2]

إذن الرواية وليدة الطبقة البرجوازية وهي البديل عن الملحمة ولذلك اعتبر هيجل الرواية ملحمة العصر الحديث. [3]

ب- ظهور الرواية في الأدب الجزائري:

بعض الدارسين على خلاف زملائهم يرون أن الرواية فن مستورد، ونرى إسماعيل أدهم الذي يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعاً عن الأدب العربي في بنيته التاريخية، ويراهُ شيئاً جديداً أوجده الاتصال بالغرب. [4] كما يرى بطرس خلاق الرأي نفسه فيقول: "لا يختلف اثنان في أنَّ الرواية العربية نشأت في العصر الحديث فناً مقتبساً من الغرب أو متأثراً به تأثراً شديداً".

ومن هذا نرى أديبنا الطاهر وطار يقول في معرض رده عن سؤال وجه له حول واقع الرواية العربية: "والرواية بالأصل فن- لا نقول: دخيل على اللغة العربية، وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه والفلسفة فتبنوها". [5]

١ - عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938)، دار المعارف، مصر، الطبعة 4، د-ت، ص193.

٢ - المرجع نفسه، ص 195.

٣ - رمضان بسطاويشي: نظرية الرواية لدى لوكاتش، مجلة الأقلام ع 11، 12، ص177.

٤ - إسماعيل أدهم، وإبراهيم ناجي: توفيق الحكيم، دار سعد مصر للطباعة والنشر، 1945م، ص12.

٥ - بطرس خلاق: في نشأة الرواية العربية بين النقد والأيديولوجية، الرواية العربية، واقع وآفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 1981م، ص17.

المبحث الثاني: في أنواع الرواية الجزائرية

1- نشأة الرواية الجزائريـة المكتوبة بالعربية

نشأة وتطور الرواية الجزائرية دائما مرتبط بالوضع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، ذلك أن هذا الفن الأدبي كغيره من الفنون الأخرى لا ينبت في الفضاء، فلا بد لهُ من تربة، وبقدر خصوبة هذه التربة تكون جودة الإنتاج، وخصوبة التربة، يعني وجود نضج ووعي، كما أنه في تناولنا لموضوع الرواية الجزائرية لا بد من التطرق إلى المرجعيات الأخرى لهذا الجنس الأدبي، من مثقفيه ومن ارتباط مع المشرق العربي ومع التراث السردي بصفة عامة. فضلاً عن الواقع السياسي والاجتماعي للشعب الجزائري. وبطبيعة الحال فإن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث وتشابكها، ولعدم كتابة تاريخ فالتخصص لا يسمح إلا بالإشارة فقط إلى بعض المحطات الهامة والأساسية التي لها علاقة بفن الرواية.

ويمكن لنا أن نتحدث عن تاريخنا النضالي في فترتين هما:

1- فترة ما قبل الاستقلال.

2- فترة الاستقلال واستعادة الحرية.

فبشأن الفترة الأولى يمكن الحديث عن شكلين من أشكال مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر أحدهما سياسي والثاني مسلح، فالنشاط السياسي سلمي يبدأ مباشرة عقب الاحتلال وتوقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م، حيث حاول حمدان خوجة تكوين ما يمكن أن يعد أول حزب وطني يعرف بلجنة المغاربة، وقد نشطت الحركة السياسية وتعددت الأحزاب في النصف الأول من القرن العشرين على الخصوص متخذة التيارات الثلاثة الآتية: [1]

1- التيار الأول: كان يطالب بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم تطور مطلب هذا التيار إلى التجنيس والاندماج، ونادى بذلك

١ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، دار الآداب، بيروت- لبنان، 1969م، ص35.

فرحات عباس بعد الحرب العالمية الثانية حتى تطور هذا التيار في إطار الاتحاد الديمقراطي للبيان، الذي أخذ يطالب بإقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فيدرالي.

2- التيار الثاني: استقلالي برز بعد الحرب العالمية الأولى ممثلاً في نجم شمال إفريقيا. الذي ظهر في باريس عام 1927 م [1] وفي عام 1932 م تحول الحزب إلى اسم: انتصار جمعية شمال إفريقيا، وعندما تم حلها ظهر الحزب عام 1934 م باسم الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، ومع حله سنة 1937 م ظهر حزب الشعب وضم بدوره أبناء الوطن المقيمين في الداخل.[2]

وقد انقسم الشعب الجزائري إلى ثلاثة أقسام: [3]

1- أنصار مصالي الحاج

2- اتجاه أنصار اللجنة المركزية

3- اللجنة الثورية من أجل الوحدة والعمل ومن هذه اللجنة انبثقت جبهة التحرير الوطني.

4- التيار الثالث: وهو إصلاحي اجتماعي ويتمثل في جمعية العلماء المسلمين التي شكلت سنة 1830م وقد تميز شعارها "بالإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". وفي هذا المقام نشير إلى أهم المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري ويمكن أن نحدد منها محطات ثلاث هي:

1- ثورة الفلاحين (1871-1916)

2- أحداث 8 ماي 1945.

3- ثورة نوفمبر (1954-1962)

١ - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس مراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة 2، 1982 م، ص 129.

٢ - الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 38.

٣ - الأعرج واسيني: نقلاً عن فرانز فانون: معذبو الأرض، ترجمة الدكتور سامي الدروبي، وجمال الأتاسي، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1979م، ص9.

2- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

كانت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تكتب الواقع بلغة الآخر التي لم يمتلك الكُتاب غيرها، لأن تعقيدات الحياة تفرض على الكاتب التعبير عن واقعه أكثر مما تتجه به نحو الخيال.[1] وقد أكد رشيد بوجدرة بأنَّ الرواية تكاد تكون أكثر الأنواع الأدبية حساسية تجاه الواقع وتجاه المجتمع، فالنسيج الروائي كشبكة مؤلفة من شخصيات وأحداث تشابه نسيج المجتمع، والمشاكل المطروحة في الرواية والتي تعاني منها الشخصيات، هي نفسها المشاكل التي يعاني منها الفرد في المجتمع، هذا هو الفهم الذي انطلق به الروائيين الفرنسيين "لقد كان بلزاك يمثل التيار الرأسمالي الليبرالي، أما زولا فكان يمثل الطبقة العاملة التي تمخضت عن الثورة العلمية والصناعية التي عرفتها فرنسا، وكذلك شأن فلوبير الذي كتب عن الثورة، كلهم انطلقوا من بنيات اقتصادية وسياسية، لكن فلوبير فيما بعد فهم أنه ليس من مهمة الرواية أن تكون نسخة طبق الأصل أو تمثيلية عن الواقع، بل هو بالعكاس وعيا والتزاماً وارتكازاً صريحاً على الإشكالية اللغوية".[2]

وإذا تمعنا أكثر سنجد أن الاستعمار الفرنسي استطاع نتيجة للمدة الزمنية الطويلة التي قضاها في الجزائر أن يجعل من الأدباء الجزائريين يتكلمون لغته فهذه هي حقيقة هذا الأدب الجزائري المكتوب بلغة المستعمر.

أ- فترة ما قبل الاستقلال:

كان لظهور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مع تواجد الاستعمار الفرنسي الذي كان له أثر كبير على المجتمع الجزائري في جميع مجالات الحياة وهذه هي بدايات الأدب الجزائري والرواية على وجه الخصوص نتيجة لما خلفه المستعمر وزرع فيه كل أنواع الظلم والحرمان والفقر والبؤس، فالرواية الجزائرية نشأت في هذه الظروف القاسية.

---

١ - عبد الله حمادي: غابرييل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

٢ - رشيد بوجدرة: واقع الرواية في القرن العشرين، مجلة الرؤيا، يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، 1982م، ص ص 12، 13.

وها هي أولى الروايات الناطقة باللغة الفرنسية من إنشاء الكاتب مولود معمرى تظهر تحت عنوان "ابن الفقير" سنة 1939م، صور فيها الكاتب الواقع الإنساني على سفوح أعالى جبال بلاد القبائل وطرقة تغيير حياته بالتعايش مع الفرد الأوروبي سواء بالهجرة إلى فرنسا أو الاحتكاك بهم في المدارس والمعاهد ودور التعليم"أما إذا التفتنا إلى الكتابة النسوية نجد الكاتبة"ماري لويس عمروش" كأول روائية جزائرية قامت بكتابة "الياقوتة السوداء" سنة 1947م وهي من إصدار دار شارلو.[1]

فقد ازدهرت الكتابة الروائية في تلك الفترة أثناء الحرب العالمية الثانية فسعى الأدباء للللجوء إلى الكتابة للتعبير عن واقع الجزائر في فترة الاستعمار باعتبار أن الأدب يعكس الواقع الاجتماعي وله علاقة وطيدة معه.

فظهرت كذلك رواية أخرى لمحمد ديب تحت عنوان "الدار الكبيرة" "La grande maison" سنة 1952م، إذ تحدث في هذه الرواية عن واقع الجزائر المؤلم وعن معاناة الشعب الجزائري من فقر وجوع وظلم. وبعدها تصدر رواية أخرى من ثلاثية الجزائر بعنوان "الحريق" "L'incendie" سنة 1954م التي تنبأت بقيام الثورة بأشهر، وبعدها تصدر رواية "النُول" "Le métier à tisser" من ثلاثية الجزائر سنة 1957م، للتأكيد على الهوية الوطنية والدفاع عن قضية شعب، وقد تزامن ظهور هذه الرواية روايات أخرى منها رواية "نوم العادل" "Le sommeil du juste" سنة 1955م لمولود معمرى، ورواية "نجمة" "Nedjma" لكاتب ياسين سنة 1956م، ورواية "الانطباع الأخير""Les derniers impression" لمالك حداد.

ب- فترة ما بعد الاستقلال:

اتخذ كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية اتجاهاً مغايراً بعد الاستقلال لأسباب ذكرناها من قبل هو أن الرواية لها علاقة جد متينة مع قضايا المجتمع ولذلك تغيرت الأفكار لدى الكتاب الجزائريين، على أبرز مثال محمد ديب كتب روايته بعنوان "من يتذكر البحر" "Qui se

١ - أحمد منور: ملامح أدبية دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر والتوزيع، ص24.

"souvient de la mer سنة 1962م، فكانت هذه بأسلوب مغاير تماماً، فعبر بها عن أجواء التوتر والرعب الذي ساد البلاد، وعن حالة الخراب والدمار التي آلت إليها القرى والمداشر.

رواية أخرى لمولود معمرى بعنوان "الأفيون والعصا" "L'opium et le baton" سنة 1965م، حيث عبر فيها على ظلم المستعمر في تهديم القرى وتهديم المساكن، ووصف الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون وتنظيم محاولات الهروب.[1]

وكانت لهذه الروايات ما بعد الاستقلال دور كبير في تعميق الإحساس بالوطن الأم، والإشادة بأمجاد الثوار وتضحيات الشعب. ولعل أبرز ما ميز هذه الفترة مغادرة الكُتاب الجزائريين واختيارهم للعيش خارج أرض الوطن.

١ – أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ص 111.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: في الأدب والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الأول: في تجربة الكتابة الروائية باللغة الفرنسية

1- مشكلة التعبير في الأدب الجزائري:

تعتبر العملية الأدبية في الجزائر تجربة فريدة من نوعها في تاريخ الآداب القومية المعاصرة. بتطورها السريع وبتكاملها قد سبقت التطورات الاجتماعية المعاصرة. أنها حبلى بالأفاق الزاخرة تنفتح أمام الجزائر فيما لو قبض لها أن تحافظ على انتصارات الثورة بل وإن تعمل على استمراريتها.[1]

فقد عاشت الجزائر منذ عام 1830م ظروفاً موضوعية خاصة في ظل الاستعمار تختلف عن تلك التي عاشتها المجتمعات العربية الأخرى. فإلى جانب الاستغلال الاقتصادي لموارد البلاد الطبيعية وإلى جانب حرب الإبادة التي شنتها ضد شعب أبي، عملت فرنسا على حرمان ذلك الشعب من ثقافته ولغته. فقد أخذت فرنسا تحارب الثقافة العربية واللغة العربية والدين الإسلامي ظنا منها أنها بذلك يمكنها محو تاريخ أمة تكونت خلال أجيال طويلة. فلم يسمح للجزائر ولا لثقافتها الإسلامية العربية أن تسير في الطريق المرسوم وأن تتطور باتصالها بتلك الثقافة الفرنسية لو لم تقطع فرنسا بسياستها المجحفة الطريق أمام ذلك التطور. ولذلك انغلقت الثقافة الإسلامية العربية على نفسها مما حدد اتجاهاتها الحالية المتميزة بالمحافظة والتعصب. ونحن لا يمكننا أن نقول أن الأدب العربي الذي بقى لنا منذ ذلك التاريخ يستطيع أن يحدد اتجاهات ومضامين الأدب الجزائري، فللجزائر أدب آخر، أدب اتخذ له أداة تعبير لغة العدو وتوجه بذلك ضد العدو وأصبح سلاحا من أسلحة المعركة في سبيل التحرر من ذلك العدو.

إنَّ الظروف الخاصة التي فرضتها فرنسا بمحاربتها اللغة العربية وبفرضها تلك اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية قد دفعت بالجزائريين لدراسة تلك اللغة والتشبع من مناهل تلك الثقافة مما ساعدهم على إغناء تقاليدهم وتراثهم وخلق أدب إنساني يقف في مصاف الآداب العالمية. ومن يتعرض لدراسة العملية الأدبية في المستعمرات قبل وبعد الاستقلال يرى أنها زاخرة بالتجارب التي

[1] – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 81.

تختلف بصفاتها ومميزاتها وخصائصها من مستعمرة لأخرى. بل إن دراسة دقيقة تحليلية لها ما يمكنها أن تكشف لنا عن ماضي تلك المستعمرات وثقافتها وحضارتها المتوارثة.

ومن يتعرض لدراسة الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة الفرنسية، دراسة تحليلية دقيقة لاستطاع أن يكتشف مدى تطور العلاقات الاجتماعية والتاريخية التي كانت تعيشها الجزائر منذ أجيال وقبل الاحتلال كما يتعرف على ما يمكن أن يسير إليه التطور الاجتماعي إذا ما ساعدت الظروف الموضوعية التي تعيشها الجزائر المستقلة على مسيرة ذلك التطور. وإذا كان الحديث يدور عن أدب باللغة العربية أو أدب باللغة الفرنسية أو أدب باللغة الأمازيغية فلا يعني أن هناك آدابا منفصلة تتكلم بهذه اللغات بل إنَّ الأدب الجزائري يكوّن وحدة متكاملة ساعدت فئات الشعب المختلفة على خلقه كما فرضت عليه الظروف الموضوعية الخاصة أن يستخدم كأداة للتعبير هذه اللغة أو تلك. إن الظروف هي التي ساعدت على تطوير هذا الأدب في فترة ما بين الحربين العالميتين وفترة ما بعد الحرب هي نفس تلك الظروف التي فرضت عليه أن يستخدم في فترة من فترات تطوره لغة العدو.[1]

إن النظام الاستغلالي الاستعماري كان له أثر كبير على إسراع عملية التطوير الاجتماعي وعلى حدوث التغييرات الاجتماعية ونشأة الطبقات إلى جانب الانفتاح على ثروات الأدب الفرنسي المتطور والاتصالات الفنية المتبادلة مع الأدب الفرنسي التي ازدادت وتعمقت بدخول الأدب الفرنسي التقدمي معركة التحرير بمساندته للشعب الجزائري، كلها ساعدت على خلق أدب قومي جزائري تطور وانفتح في حركة التحرير الوطني. إنَّ تلك الصلات الزاخرة مع الأدب الفرنسي التقدمي قد عملت على إذكاء صراع الثقافتين في الثقافة القومية الواحدة بل إنَّ خبرات ذلك الصراع نفسه في الأدب الفرنسي فتحت أمام تطور الأدب الجزائري الحديث آفاقاً جديدة.

[1] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 82.

يقول محمد ديب[1]: "إنَّ كل قوى الخلق والإبداع لكتابنا وفنانينا بوقوفها في خدمة إخوانهم المظلومين تجعل من الثقافة سلاحاً من أسلحة المعركة... ولأسباب عديدة، فإنني ككاتب كان همي الأول هو أن أضم صوتي إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبتها "... فالأدب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أداة تعبير له هو أدب وطني قومي طالما أنه أراد أن يكون سلاحاً من أسلحة المعركة. فقد استمد منها قوته وطاقته بل هو جزء كبير من تاريخنا.

2- استعمال الأدب الجزائري للغة الفرنسية كأداة للتعبير:

أ- اللغة المستعملة: اللغة هي أداة للتعبير عن الثقافة والأدب، وواقع التاريخ وتجارب أمم مختلفة لا تفرض على الأمة واللغة أن يسيرا في تطورهما بنفس التكافؤ. وبعبارة أخرى لا يجب أن تكون هناك في كل الحالات علاقات مستديمة لا تتغير بين اللغة والأمة. فواقع الجزائر في فترة من فترات تطورها التاريخي فرض عليها استخدام اللغة الفرنسية وهي لغة غريبة على مجتمع إسلامي في تقاليده وثقافته الإسلامية العربية وإلى جانبها توجد اللغة العربية والأمازيغية وكلها أدوات تعبير للأدب الجزائري ذلك هو الوضع الذي فرضته فترة معينة من فترات التطور التاريخي على الجزائر. والكاتب حين يستخدم لغة كأداة للتعبير الأدبي فإنه لا يختارها بقدر ما هي مفروضة عليه أن يستعملها طالما أنها جزء لا يتجزأ من شخصيته نفسها.[2] فالكتاب الجزائريون كتبوا بتلك اللغة التي أصبحت جزءاً من شخصيتهم نتيجة ظروف تاريخية معينة. ولأن أمامنا سؤال: هل الأدب الجزائري الذي اتخذ من اللغة الفرنسية أداة للتعبير الأدبي، هل هو أدب جزائري قومي؟ الإجابة على هذا السؤال واضحة تماماً. فلكي تكون هناك علاقة بين الأدب والمجتمع يجب أن نتعرف على هذا المجتمع في هذا الأدب. وفي فترة الاستعمار وفي ظل الظروف الاستثنائية التي فرضت على الجزائر ومحاربة الأدب العربي وفرض اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، وبالتالي نقول في ظل هذه الظروف وجد الكتاب الجزائريون أنفسهم أمام تأثير ثقافي لم يصل إليهم بشكل طبيعي أنه مفروض عليهم واضطروا للتعرف عليه نتيجة لذلك الظرف التاريخي الخاص كما أنَّ الاختيار لم

---

١ - محمد ديب كاتب جزائري معاصر، وقد أدلى بهذه التصريحات في مناقشة له مع الكاتب جون سيناك، الأدب الجزائري المعاصر، سعاد محمد خضر، ص 82.

[2] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 125.

يكن وليد رغبة فردية لدى هذا الكاتب أو ذاك بل فرضت استعمالها الجماهير. وقد أصبحت اللغة الفرنسية لغة للتعليم وللدراسة والبحث بل وللتحرير... يقول بشير الحاج على [1]: **"لقد تقبل شعبنا اللغة الفرنسية منطلقا من موقف موضوعي واع ثوري لقد أصبحت اللغة الفرنسية بالنسبة له لغة البحث والمعرفة، ثم سلاحاً للتحرير"**.

والأدب الجزائري الذي كُتب باللغة الفرنسية والذي نشأ وتطور بعد الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحاضر، لم يولد و لم يتطور إلا بعد أن استطاع الأدباء الجزائريون أن يسيطروا تماماً على اللغة الفرنسية وأن يعبروا بها عن الحقيقة الجزائرية. وبعد أن سيطر الجزائريون تماماً على اللغة الفرنسية وبعد أن تعمقوا في دِراستها ودِراسة تاريخها حولوها للدرجة التي تجعل من المؤلفات الجزائرية أدباً لا يختلف فقط من حيث المضمون بل من حيث الشكل عن الأدب الفرنسي. [2]

لقد استطاع الأدباء الجزائريون أن يجعلوا منها لغة تساعدهم على التعبير عن قيمهم وأفكارهم وتقاليدهم. وبدلا من أن تسلب منهم شخصيتهم وقيمهم ما أرادت لها فرنسا ذلك، وبدلاً من أن تكون أداة لتشويه تلك القيّم والتقاليد، أصبحت لهم أمة قادرة على التعبير عن تلك الشخصية الجزائرية وعن تلك القيّم الجزائرية والتقاليد. وبالتالي لم تجرد الجزائريين من شخصيتهم بل كانت عامل من العوامل التي ساعدتهم على فرض أنفسهم وقيمهم وتقاليدهم، أنَّ اللغة تتطور إذا ما واكبت تطورات ثقافية وإذا ما أصبحت أداة للتعبير عن تلك الثقافة. وهذا هو الحال في الجزائر لقد تطورت اللغة الفرنسية واتخذت لها أشكالاً جديدة ومحتويات جديدة ويكفي أن تتصفح رواية كتبها كاتب جزائري باللغة الفرنسية ورواية فرنسية ليتضح لك الفرق بين القصتين. [3] وبعد أن طوع الجزائريون تلك اللغة استطاعوا بها أن يدخلوا المعركة وأن يفرضوا حقيقتهم.

لقد فرض الفرنسيون اللغة الفرنسية لغة للتعليم وللثقافة وحاربوا العربية وحرموها وأصبحت بالنسبة للجزائري لغة ثانية. إنها في الواقع مشكلة غريبة أن تكون لغة التعبير وأداة

1 - Culture Nationale et révolution. Bachir Hadj Ali. P 14.

[2] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 86.

٣ - سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المُعاصر، دراسات أدبية نقدية، صيدا، بيروت-لبنان، 1967م، ص 87.

التعبير هي الفرنسية في بلد عربي إسلامي. ولكن الظروف التاريخية هي التي فرضت هذا الواقع المعاش، وهذا الواقع بالذات حتم على الفرنسية أن تلعب نفس الدور الذي كان على العربية أن تقوم به وأصبحت لغة التعبير في ميدان التعليم وهي لغة الثقافة والسياسة والتاريخ والأدب إلى جانب كونها لغة طيعة ناجحة لميدان الأدب ثم إنها لغة متطورة لحضارة متطورة استطاعت أن تفرض نفسها وتقاوم تأثير اللغات الأخرى إلى جانب الظروف الموضوعية الأخرى التي ساعدتها على ذلك. إن المشكلة كما نعتقد ليست بهذا الشكل المجرد أي أنها لغة دخيلة تقطع الجزائري عن ماضيه وتبعده عن واقع أمته. لقد تعرض الكُتاب الجزائريون لتلك المشكلة وأبدوا رأيهم بهذا الخصوص فنجد مالك حداد وهو كاتب جزائري وشاعر كتب باللغة الفرنسية فإنه يعبر عن استخدامه اللغة الفرنسية بأنها مأساة بالنسبة له.[1] "**أنا الذي أغني باللغة الفرنسية، أنا الشاعر، يا صديقي، يجب أن تفهمني جيداً إذا ما كانت لغتي تثيرك. لقد أراد الاستعمار ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص، ألا أستطيع أن أعبر بلغتي**"، هي في الواقع مشكلة ولكنني أعتقد أنها ليست بهذا العُمق ولا يجب أن ننظر إليها بشكل مجرد. المشكلة الأساسية في نظري ليست في اللغة بحد ذاتها بل بمقدرة هذه اللغة أو عدم مقدرتها على التعبير عن حقيقة وواقع الشعب الجزائري. وعند تعرضنا لدراسة أدبية تحليلية للنتاج الأدبي لكتاب الجزائر الذين كتبوا باللغة الفرنسية سترى أن مشكلة اللغة الفرنسية كما نرى أن الكاتب تشكلت لديه مشكلة عميقة فأولئك الكتاب الذين كتبوا كانوا أبعد الناس عن التعبير عن حقيقة الجزائر، عن حقيقة وواقع الشعب الجزائري والذين تعرضوا لمواضيع ومضامين لا علاقة لها بالشعب الجزائري.

وبعبارة أخرى تتلخص المشكلة في شعور الكاتب الجزائري الذي يكتب بهذه اللغة بمكانه في تلك المعركة.أين يقف؟ أيقف هو حقا إلى جانب شعبه؟ أيشعر بمشاكل ذلك الشعب؟ هل يجد الشعب صدى لمشاكله في نتاج ذلك الكاتب؟ هل أسهم هذا الكاتب في معركة التحرير وهل

1- La Nouvelle critique. No 112. Janvier 1960. P 80.

يسهم في معركة البناء؟ [1] الإجابة على هذه الأسئلة كلها تضع حلاً لهذه المشكلة وتحدد أبعادها. فالفن والثقافة والأدب هي الإنسان يسعى في طريق التحرر يسعى إلى اكتشاف الغد المشرق.

يقول مولود معمرى: "ولا يجب أن نبكى وأن نشعر بالضياع لأننا نكتب باللغة الفرنسية. فأنا شخصياً إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة نقص. "فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره ويبذل مجهوداً كبيراً في سبيل التوصل إلى الشكل الذي يريده أو يرغب أن يظهر به عمله الجديد. ولا توجد هناك أية ضرورة لأن تقول أنا عربي فلماذا أكتب بالفرنسية؟ إنني أقول أن هذه فرصة بل إنها ثروة للثقافة الجزائرية" [2].

ونرى كاتب ياسين يؤكد على ضرورة معرفة الكاتب للمكان الذي يشغله في الجزائر. ويؤكد على ضرورة إعطاء الكاتب حرية التعبير سواء كان ذلك يرضى السلطات أم لا. وتعرض لمشكلة اللغة قائلاً: [3] "والجزائر تملك أدوات تعبير عديدة فلماذا نحرمها منها ولا تبقى غير واحدة". لقد ظلت مشكلة اللغة و مشكلة تعريب الجزائر ومستقبل الثقافة الجزائرية مدار مناقشات طريقة مفيدة على صفحات الصُحف والمجلات الفرنسية والمحلية. وقد شارك جميع كُتاب الجزائر في هذه المناقشات القيمة عارضين وجهات النظر المختلفة حول هذا الموضوع. وهي وجهات نظر مفيدة لكل من يريد التعرف على حقيقة مشاكل الثقافة الجزائرية ومن يريد أن يبحث عن حلول موفقة لها.

ب- الجزائر في الأدب الفرنسي:

قبل التعرض لدراسة الأدب الجزائري باللغة الفرنسية يجب توضيح نقطة هامة لا يجب التغاضي عنها ولا يجب الخلط في التعرض لها بين مفهومين يختلفان تمام الاختلاف.

١ - سعاد محمد خضر، المرجع السابق، ص 89.

٢ - مولود معمرى: كاتب جزائري معروف كتب الكثير من الروايات باللغة الفرنسية. وقد أدلى بهذا التصريح في معرض المناقشات التي كانت على صفحات المجاهد حول مستقبل الأدب الجزائري. المجاهد، العدد 114-2-1963.

3- Kateb Yacine: Revue Dialogue. No. 6 Novembre- Décembre 1963.

فهناك أدب فرنسي عن الجزائر وهناك أدب جزائري كُتب باللغة الفرنسية. ويخطئ من يتغاضى عن الحقيقة ويتصور أن الأدب الجزائري باللغة الفرنسية هو امتداد للأدب الفرنسي. وقد ساعد البعض على تبني هذه النظرة موقف النقد الفرنسي نفسه تجاه ذلك الأدب. [1]

فإن طريقة تقييم النقد الفرنسي للأدب الجزائري تشوه الكثير من معالم الصورة ومن حقيقة الوضع. وربما كان بعض النقاد تدفعهم وجهات نظر معينة أو مصالح معينة. وربما كان البعض الآخر يجهلون الكثير عن حقيقة واقع الجزائر مما يدفعهم لاتخاذ موقف معين من ذلك الأدب.

ومهما كانت الأسباب فإن موقف النقد الفرنسي يقيم بشكل أو بآخر هذا الأدب، فإن هذا الأدب يتسم في نظرهم بصفات ليست جزائرية.

قبل الغزو الفرنسي للجزائر كانت تربط الدولتين علاقات جوار حسنة أحياناً وسيئة أحياناً أخرى فرضتها الظروف التاريخية المعينة التي تعيشها كلتا الدولتين. وكانت الجزائر موضوعا مطروقاً تعرض له الكثير من المؤرخين ومن الكتاب سواء كانوا من الدرجة الأولى أو من الدرجة الثانية فقد كانت الجزائر تحتل مكاناً خاصاً لدى فرنسا.

فكان الموقف الأدبي الذي ساد تلك الفترة من الأفكار الكاتب يبحث عن البطل المثالي والبعيد عن الواقع وعن حقيقة الحياة هو الذي ساد أدب أولئك الكتاب الفرنسيين الذين ظهروا في النصف الأول من القرن العشرين والذين سموا أنفسهم "بمدرسة الجزائر". وتضم هذه المدرسة "امانويل روبليه" "Emmanuel Roblès" و"ألبير كامو" "Albert Camus" و"جول روا" "Jules Roy" وأدمون بروا "Edmond Brus". [2]

وقد ادعى كل منهم جزائريته ولكن لم يستطع واحد منهم أن يصور الجزائر في الواقع. فقد شاهدوها من السطح، من مكاتب الإدارة الاستعمارية في الجزائر وصوروا فيها حياة تلك الفئة الأوروبية التي استوطنت الجزائر وعاشت في ربوعها لأكثر من قرنين.

[1] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 92.

[2] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 110.

وإذا ما كان أولئك الكتاب يعتقدون أنهم يصورون حقيقة الجزائر فبكتاباتهم وأبطالهم يدللون على أنهم لم يقفوا موقفا موضوعياً من واقع الجزائر. وغذت اتجاهات الأدب السائدة في الأدب الفرنسي في تلك الفترة هذه المدرسة وهي في حد ذاتها امتداد للأدب الاستعماري.

وقد أعطى أولئك الكُتاب صورة خاطئة عن الجزائر إذ وقفوا منها نفس الموقف الذي تقفه السلطات الاستعمارية.

ولكن ذلك لا يعني عدم وجود أدب تقدمي في فرنسا حاول بمواقفه الموضوعية وتفهمه لحقيقة مشكلة الجزائر وواقع شعبها أن يدحض الصور الخاطئة التي أعطاها أدب أولئك الكُتاب عن الجزائر. وفي صراعه ضد تلك المواقف الرجعية وضد اتجاهات الفلسفة الاستعمارية قد أعطى زخماً جديداً للأدب الجزائري الحقيقي، وساعد في تسريع عملية تطور الأدب الجزائري وساعد في صراعه ضد الرجعية المحلية والأدب الرجعي المحلي على انتصار لحقيقة الجزائر ولشعب الجزائر. ثم ظهرت في بداية القرن العشرين فئة من الكتاب الجزائريين كتبوا باللغة الفرنسية ولكن مواقفهم الأدبية توفيقية ويدينون بنفس تلك المثل ذاتها ويستمدون غذائهم الفكري من ذات المبادئ الفلسفية والإيديولوجية التي سادت الأدب الفرنسي.

ومن الصعب الجزم بأنَّ الأدب الجزائري الذي اتخذ له من اللغة الفرنسية أداة تعبير له هو امتداد للأدب الفرنسي. وهكذا فاعتبار كُتاب مدرسة الجزائر كُتاباً جزائريين أمر لا يمكن قبوله، فأدبهم لا يمكن اعتباره بأي حال من الأحوال أدب جزائري، إنه أدب اتخذ موضوعاته من الحياة الجزائرية وتعرض لدراسة شخصيات جزائرية ومع ذلك فموقف الكاتب أو الشاعر من حقيقة الجزائر ينطلق من موقف معين ومن جهة نظر معينة. إنه أدب فرنسي خالص ولا يمكن اعتباره بأي حال من الأحوال أدباً جزائرياً.[1]

3- الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

بإمكاننا القول بأنَّ الأدب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أداة تعبير له والذي يستغرق الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى سنوات 1963م. بأنه أدب يمثل مرحلة تاريخية معينة من

[1] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 111.

حياة الشعب الجزائري. إنه أدب المعركة إذ يعكس أحداث تلك الفترة بتحولاتها التاريخية والاقتصادية وتناقضاتها الاجتماعية إلى جانب كونه سلاحاً من أسلحة تلك المعركة. ولكن ذلك لا يعني أنهُ لم يكن هناك أدب قبل ذلك التاريخ وأنَّ الأدب الجزائري قد ظهر هكذا فجأة بعد الحرب العالمية الثانية. وقد ظهرت مجموعة من الكتاب في بداية القرن كانت لها محاولات مختلفة من شعر ورواية اختاروا أداة تعبير لها باللغة الفرنسية. والظروف الاستثنائية التي عاشتها الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي وانتشار الأمية واقتصار التعليم على اللغة الفرنسية ثم فرض اللغة الفرنسية وآدابها وحضارتها على الجزائريين كل ذلك ساعد على ظهور تلك الظاهرة الخاصة بالجزائر وبأدب المستعمرات من وجود كُتاب يكتبون بلغة العدو.[1] ويمكننا تقسيم ميدان الأدب الجزائري باللغة الفرنسية إلى فترتين: فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فأدب أولئك الكُتاب الجزائريين أدب يستغرق الأحداث الهامة التي عاشتها الأمة الجزائرية في تلك الفترة من فترات تاريخها المرير، إذ أن ديب وكاتب ياسين يختلف مثلا عن كامو وأديسيو وروبليه، إذ أن ديب وكاتب ياسين يعيشون في الخارج غرباء ويعتبرون أنفسهم أفراداً من تلك الأمة الجزائرية، وكون ديب يعيش في فرنسا مثلاً فلا يعني ذلك أنه كاتب فرنسي. وأدب ديب ومعمرى وفرعون وكاتب ياسين أدب يدين بإيديولوجية الكفاح الطبقي والسياسي ومبادئ الحُرية والعدالة ومفاهيم الوطن والأمة. إنه أدب تستخدمه هذه الأمة نفسها سلاحاً لتحطيم قيود الاستغلال والإقطاع، سلاحاً في معركتها المظفرة ضد العدو المستغل. فالكاتب العبقري هو ذلك الذي يقدم لنا نتاجاً يحوي أفكاراً اجتماعية والنبوغ الفني وحده لا يمكن أن يقدم لنا نتاجاً رائعاً.

ومهما قيل من أنَّ الكُتاب بعيدون كل البعد عن الصراع الفكري الذي تدور في حياة بلادهم فإنهم سواء أرادوا أم لم يريدوا إنما يعكسون في كتاباتهم وفي مواقفهم تلك الصراعات السياسية والإيديولوجية والاجتماعية التي تمر بها الحياة تلك البلاد. بل إنَّ الموقف نفسه الذي يقفه الكاتب أو الشاعر والفنان إنما يُعبر بذلك عن تحيز ذلك الكاتب سواء أراد أو لم يرد. والفن والأدب لا يمكنهما بأي حال من الأحوال أن يقفا موقفاً لا متحيزا من الحياة ومن السياسة وهناك

١ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 125.

صراع فكري يدور في الجزائر يأخذ تارة شكلاً علنياً وصامتاً أحياناً أخرى. فالأدب الفرنسي هو أدب التقاليد الواقعية العريقة وبلد القصة الاجتماعية التي كتبها بلزاك وفلوبير وزولا ورمان وروجيه مارتن دوجار. فالأدب الفرنسي قد أذكى الثقافة في الأدب الجزائري وخلق لنا أدباً منفتحاً على التأثيرات الأدبية الفرنسية واستمد موضوعاته ونظرياته ومواقفه الفلسفية من معركة الشعب الجزائري في سبيل الحُرية والاستقلال. فهذا الأدب ولد وتطور في شكل رواية وشعر ومسرحية ومقالة، ويعتبر هذا الأدب رداً رائعاً على محاولات الاستعماريين تصفية جميع تقاليد وقيّم ذلك الشعب الثوري. ولم يكتب أولئك الكُتاب الجزائريون ذلك الأدب باللغة الفرنسية لأنهم فقط قد تعلموا بالمدرسة الفرنسية أو اتصلوا بالأدب الفرنسي بل لأنهم عاشوا حقيقة الشعب الجزائري وأرادوا التعبير عن ذلك الواقع بل ومحاولين بذلك بعث التقاليد والقيم والمحافظة على كيان الأمة ووحدتها. لقد عاشوا حياة الشعب الجزائري القاسية في ظل الاستغلال الاستعماري، لقد خلقهم الشعب الجزائري أو بالأحرى إنهم هم الشعب الجزائري. والأدب الجزائري بذلك هو أدب وطني طالما أنه يكون سلاحاً من أسلحة المعركة، معركة ذلك الشعب. إنه أدب وطني لأنه لا يعرف إلا بتاريخ ذلك الشعب. [1]

والأدب الجزائري الوليد قد اتصل اتصالاً وثيقاً بالأدب الفرنسي ولأن ذلك الاتصال لم يكن في ظروفه الطبيعية فإن تأثيره قد اتخذ شكلاً فريداً لم يتخذه اتصال الآداب القومية العربية الأخرى بذلك الأدب الفرنسي نفسه وفي نفس تلك الفترة التاريخية. فقد عاشت الجزائر ظروفاً استثنائية حاولت فيها فرنسا إسدال الستار على ماضي وتراث الشعب الجزائري وفرضت ثقافتها وأدبها ولغتها فرضا على ذلك الشعب. كما أن الخبرة الثورية التي وجدها الكُتاب الجزائريون في تقاليد الأدب الفرنسي قد أمدتهم بإلهام جديد وأذكت فيهم روح الثورة. ولقد ظهر هذا الأدب الجزائري مع نهاية سنوات الحرب العالمية أى منذ سنوات 1945م. وهو يعبر عن مجموع تلك الجهود التي قدمها الشعب الجزائري، بل إنه يعمل على تحقيق ذلك الهدف الذي أعلنه ذلك الشعب نفسه. ومن أشهر أعلام الأدب الجزائري الحديث في ميدان الرواية "محمد ديب"، "مولود

١ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 129.

معمرى"، "مولود فرعون"، "كاتب ياسين"، "مالك حداد"، "مصطفى الأشرف"، "آسيا جبار"، أما في ميدان الشعر، فقد برز كذلك "محمد ديب" و"كاتب ياسين" و"جون سيناك" و"هنري كريا"، "مارسيل موسى".

4- الرِّوايَّـة الجزائريـة المكتوبة بالفرنسية:

وإذا كان الأدب الجزائري الحديث قد جدد في كثير من الأنواع الأدبية فقد كانت الرواية الجزائرية من أكثر الأنواع الأدبية تطوراً في الأدب الجزائري. وكُتاب الرواية الجزائرية قد ساهموا في بناء مجتمعهم وإعداد العُدة لمستقبله. ولهذا فقد قدموا روايات بلغت مستوى عالي من حيث الشكل والمضمون ومن حيث الموقف الفلسفي والمبادئ الفنية.

وفي سنوات 1952-1953م انبثقت فجر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. فقد ظهرت في تلك الفترة رواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب ورواية "الهضبة المنسية" لمولود معمرى" ورواية "الأرض والدم" لمولود فرعون وكذلك روايته "ابن الفقير".

ثم تتابعت الروايات لتحدد اتجاهات ذلك النوع الأدبي الذي فاق في تطوره ألوان الآداب الأخرى. فالرواية الجزائرية صورة لمجتمع الجزائر بجميع طبقاته وفئاته بتقاليدها وصفاتها الخاصة وميزاتها. وتعود أصالة ذلك الأدب لدرجة كبيرة إلى نفس تلك الفئات المختلفة التي ساعدت في خلق هذا الأدب، تلك الفئات المختلفة من عرب وبربر والتي ساهمت بثقافتها وطرق معيشتها وتقاليدها في إغناء ذلك الأدب. [1]

لقد كانت المعركة من الأسباب القوية التي دفعت إلى ظهور الرواية الجزائرية. ففرنسا كانت تحلم بالقضاء على كل ما يتحرك في الجزائر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى أقصى الصحراء... فإذا الجزائر كلها تقف ضدهم وتشل حركتهم ملحقة بالمستعمر بعار لا يمحى. وكان هناك قسم من الشعب الفرنسي قد ضللته دعايات الحكام في أنَّ فقدان الجزائر معناهُ ضياع فرنسا اقتصادياً و أن الثورة هي حرب دينية ترمى إلى القضاء على الحضارة الفرنسية. ولكن ذلك لم يكن موقف الشعب الفرنسي كله وكبار كتابه وشعرائه الذين وقفوا إلى جانب قضية الشعب الجزائري

١ - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967، ص 142.

من سارتر إلى أراغون إلى جميع أولئك الشعراء الذين قدموا أغانيهم وأناشيدهم لكفاح الشعب الجزائري وبينما كانت قوى الاستعمار العالمي كله تقف إلى جانب فرنسا في حربها القذرة كانت قوى الخير في العالم كله تؤيد نضال الشعب العادل. وقد أغنت آداب تلك الشعوب الأدب الجزائري بحصيلة كفاحها وساعدته وعززت كفاحه ضد قوى الشر.

و إلى جانب مواضيع المعركة كان الصراع بين القديم والجديد من أبرز صفات الأدب الجزائري الحديث والرواية الجزائرية الحديثة. فقد أكد "كاتب ياسين" للجيل الماضي على أنَّ الحُرية لا يمكن أن يكون لها ثمن سوى الدم وخاصة في مسرحية "الجثة المحاطة" بينما كانت رواية "نجمة" بالنسبة له هي الجزائر نفسها، الوطن الجريح: "إننا ننتمي إلى ذلك الجيل الذي يجب عليه أن يضحى ويكشف عما وراء السطور، منتصرين على الخطأ متخطين الفشل ومخاطرين بأرواحنا في غمار المعركة إلى أن يحمل غيرنا راية الكفاح في المعركة... [١].

وقد أظهرت لنا الرواية الجزائرية ذلك الشعور بالغضب والأنفة أمام استفزازت المستعمر بل أعطتنا صورة لتفضح حكام فرنسا الأوروبيين عندما أعطتنا صوراً من حياة البورجوازية الفرنسية الحاكمة في الجزائر. أما صورة الجزائر الحقيقية ومجتمعها فتراها متنوعة مليئة بالمعاني عميقة الأبعاد في ثلاثية محمد ديب الشهيرة التي تخط لنا مسيرة نشأة وتوحيد وتعمق الوعي القومي لدى الشعب الجزائري: "الدار الكبيرة" و"الحريق" و"مهنة النسيج": إنها كما يقول أراغون: "**هي مذكرات الشعب الجزائري بل إن المكتبة الوطنية للجزائر هي محمد ديب**". [٢]

وهكذا سارت الرِّوايَّة الجزائرية متخذة طريقها الذي رسمه نضال شعب عنيد ورواه بالدماء الزكية والدموع الساخنة. وقد حددت تلك الرواية أبعاد الأمة الجزائرية وكانت بذلك رداً حاسماً على افتراءات الاستعمار من "أنهُ منذ كان التاريخ تاريخاً فلم توجد الجزائر قبلنا... إننا خلقناها" [٣]. وأعطانا الأدب الجزائري صورة واقعية لحقيقة الأمة الجزائرية وللمجتمع الجزائري، صورة تستمد من إبداعات تراث الماضي البربري والعربي وتتلاءم وتتفاعل مع متطلبات الحضارة الحديثة والفكر

١ – من كلمات "لخيضر" أحد أبطال القصة، الأدب الجزائري المعاصر، سعاد محمد خضر، ص 142.

[2] - سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 146.

٣ – من تصريحات ديغول في خطابه الذي ألقاه في السادس عشر من سبتمبر سنة 1959م.

الحديث. والرواية الجزائرية من أكثر الأنواع الأدبية تطوراً في الأدب الجزائري وأقدرها على توضيح الحقيقة الجزائرية أمام القارئ بتقديمها بمختلف الإجابات على مختلف المشاكل التي تبرز أمام الشعب الجزائري. والرواية في عصرنا تعتبر وسيلة من وسائل إعادة بناء المجتمع بكونها ميداناً من ميادين الصراع الفكري والعقائدي. فالجزائر عند كامو ومحمد ديب أو مولود معمري إنها لدى هؤلاء جزائر العمال والفلاحين والمجاهدين والفقراء... جزائر الظلم والقيود والسجن والتعذيب... إنها حياة الحرمان والعوز والفقر... إنها بؤس الوجود والنضال من أجل لقمة خبز. وموقف كل كاتب جزائري من الحقيقة الجزائرية سواء أكان في صف الشعب أم في صف الرجعية إنما هو انعكاس لهذا الواقع الذي عاشته الجزائر في تلك المرحلة المعينة. فكل كاتب ينطلق من موقفه الطبقي ومصالحه الطبقية في تعبيره عن ذلك الموقف من الحقيقة الجزائرية وبذلك تتغير نظرته إلى الحقيقة الفنية وتعبيره عنها. فكاتب ياسين الذي شهد في سن السادسة عشرة مذابح سطيف في الثامن من مايو عام 1945م: الشوارع مليئة بالجثث مكتظة بالجرحى، ثم السجن والتعذيب. تلك الصور التي شوهت أحلام الطفولة والشباب. ثم أنهار من الدماء التي تتراءى أمام عينيه دفعته إلى أن يقف ذلك الموقف الثوري العنيف إلى جانب شعبه المظلوم.[1]

ومحمد ديب الذي صور في روايته "الدار الكبيرة" بؤس الطفولة الجزائرية والحياة المعدمة التي تعيشها الطبقات الكادحة. وكذلك مولود معمري ومولود فرعون قد حتمت عليهما نشأتهما أن يقفا موقفاً حازماً صريحاً إلى جانب جماهير الفلاحين المعدمة المظلومة بينما ترى كتابا كآسيا جبار أو مالك حداد لم يستطيعا أن يصورا أبعاد الحقيقة الجزائرية بل كانا يمسانها مسا دون التعمق في أصول تلك المأساة. وهما بطبيعة موقفهما في أغلب الأحيان موقفاً توفيقياً فيه شيء من الازدراء المغلف للواقع، و لم تتعدى ثورتهما حدود الثورة العاطفية. فديب وكاتب ياسين ومولود معمري وفرعون قد أعطوا صورة حقيقية لواقع المجتمع الجزائري بجميع تناقضاته ومشاكله. ولقد حيا أراغون مولد الرواية الجزائرية معلقا بقوله على رواية الدار الكبيرة لديب "بأن هذه الرواية تبشر بولادة عصر الرواية الجزائرية".

١ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 149.

5- كُتاب الرِّواية الجزائريـة باللغة الفرنسية:

أ) محمد ديب:

وُلد محمد ديب في مدينة تلمسان من عام 1920م. فأحداث رواية "الدار الكبيرة" صورة للوسط الذي نشأ فيه الكاتب، وسط أولئك المحرومين الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة في مدينة تلمسان. وتنقل بين المهن فاشتغل مدرساً ومحاسباً ثم عامل في مصنع النسيج ثم صُحفياً. وكان يهتم بالنقد المسرحي وكان ينشر مقالاته النقدية في صحيفة "الجزائر الجمهورية" Alger Républicain. وقد بدأ ديب حياته الأدبية بكتابة الشعر وبعض المقالات والقصص والتي كانت تنشرها مجلة "تيراس" و"سيمون". [1]

وأشعار ديب تتميز بشكل أدبي خاص مستوحاة من الأدب الأوروبي ومحتفظاً بميزات وصفات خاصة بالكاتب لا تتكرر عند غيره... وهو يختلف عن "كاتب ياسين" في تقديره للشكل الفني. إذ اختار ديب شكلاً بسيطاً سلساً موحياً يعبر عن حساسية زاخرة. وهو مسيطر سيطرة تامة على ذلك الشكل الفني الذي اختاره لأشعاره والذي يعبر بكل سهولة وصدق عن كل ما يختلج داخل نفسه الحساسة والذي يغني أغنياته الداخلية كلها ويفصح عن نغمات الحُزن العميق ورنات الأمل الكبير... كانت الكتابة بالنسبة لمحمد ديب جهاداً من أجل الحرية واعتبرها أداة لا تقل أهمية عن الأسلحة الحربية، حيث اعتبرت كتاباته محرضاً للثورات فكانت كتاباته الأولى سهلة ذات لغة معبرة جداً وتحررت عبر ثلاثيته الشهيرة (الدار الكبيرة، الحريق، النول) . [2]

وتغلب صور الوحدة والحُزن على أشعار ديب التي تصور بعمق مشكلة الإنسان الجزائري في مجتمعه المعاصر. وهو يعبر ببساطة موحية عن كل ذلك ويختار كلمات كالخبز والنهار والعمل والحُب والإنسان ليعبر عن الحياة اليومية التي يعيشها الشعب الجزائري. فقد عاش ديب تلك الصراعات العنيفة التي كانت تمر في الجزائر كما عاش ذلك الصراع الفكري الذي كان بدوره سلاحاً من أسلحة المعركة. ولقد دفعه ذلك إلى اختيار نوع آخر من الأنواع الأدبية التي تساعده

١ - المرجع نفسه، ص 150.

٢- ينظر: أمين الزاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجية من 1830 إلى 1982، رسالة ماجستير، دمشق، 1983، ص 320.

على وصف كل ما يتمحور داخل نفسه وكل ما يجرى أمام عينيه. وكتب روايته "الدار الكبيرة" ليدشن بذلك عصر الرواية بعد أن قرأ روايتين للكاتبة الانجليزية المعروفة بـ "فرجينيا وولف" الأولى هي "نزهة الفنار" والثانية التي أثرت عليه على وجه الخصوص فكانت "الأمواج".

وقد حاول ديب منذ أول رواية كتبها أن يضع أدبه في خدمة إخوانه المظلومين. وهذه روايته "الدار الكبيرة" و"الحريق" ثم "النول" صورة واضحة لحياة الشعب الجزائري في تلك الفترة بالذات: بداية الوعي القومي والشعور بالكرامة، ثم فترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة. وهذه الثلاثية تصور لنا نماذج حياة لأناس من عامة الفقراء وعاداتهم ومتاعب السعي اليومية وراء الرزق. ويصور ديب كذلك مأساة الحياة اليومية والصمت المترقب وصيحات الأطفال الجياع ورائحة الفقر العفنة. أما طريقة الكاتب في عرض تلك الصور فتدفع بالقارئ أن يحب هذا الشعب وأن يشعر بمأساته. ونظرته ثاقبة تتغلغل في أعماق نفوس أولئك البُسطاء لتحكي لنا قصة ولادة الوعي الطبقي والشعور بمأساة الحياة. وأسلوبه سهل بسيط في جمل صغيرة مختصرة تساعده على إيجاد طريقة خاصة به توجه الجمهور الذي يريده أن يتحرك، أن يتغير، أن يخلق.

وكانت العملية كما يبدو صعبة بالنسبة للكاتب فالقارئ يحس بذلك الصراع لدى الكاتب الذي كانت تتنازعه رغبته في التعبير الشخصي ورغبة الجمهور ونداء الجمهور الذي يريد أن يعرف وأن يرى. وعوالم ديب التي خلقها في رواياته وأشعاره هي عوالم غنية زاخرة تعبر عن قلق عميق يتنامى وخوف من تعود الشعب على المأساة ومن تحوله إلى حالة من اللامبالاة. ولكن الكاتب يساعد أبطالهُ على التحرر من ذلك القلق الذي يبقى مع ذلك جاثماً على نفوسهم أمام "طول الليل" و"استمرار العذاب" أمام تلك الحيوانات الصغيرة التي تتحطم وتُداس للاشيء ودون جدوى... وصفات أبطال ديب وقيمهم تحاول أن تدلل على أن الصراع قد أصبح عاملاً من عوامل تكوين الشخصية الجزائرية ويتحرك أولئك الأبطال ولكن ذلك القلق يتحول إلى ترقب إلى ثورة مسلحة لا تبقى ولا تذر. ليعبروا عن بداية حركة الجماهير: إنها الجزائر تستيقظ وتستعد للمعركة الفاصلة. واللغة التي يكتب بها الكاتب والتي كانت مظهراً من مظاهر المأساة قد وحدت الجبهة، جبهة النضال المشترك. أما الحقيقة الأدبية لدى ديب وعوالمه هي تلك الجزائر الغاضبة

والجزائري الثائر والأوروبي الذي كتب عليه أن يكون مستغلاً في المستعمرة. وديب الذي يستمد طاقاته وموضوعاته الشعرية والأدبية من حياة الشعب إنما يعبر عنها بالفرنسية، اللغة التي كانت مظهراً من مظاهر الألم والأسى والتي أصبحت فيما بعد سلاحاً من أسلحة المعركة ضد العدو. [1]

وأبطاله وهم يتغنون بماضي الجزائر أو حاضرها إنما يعطون صورة للمستقبل كذلك. والأحداث التي يعيشها أبطال الثلاثية والتي تؤثر على حياتهم وتفكيرهم وسلوكهم تصور بداية الحركة نحو تغيير وضع الأشياء.

ففي الجزء الأول من الثلاثية "الدار الكبيرة" "La Grande maison" عام 1952م التي يعطي فيها ديب وصفاً صارخاً لحالة الفقر المدقع الذي كانت تعانيه الطبقات العاملة في الجزائر التي وقعت في فخ المدينة، ولكنها لم تقدر على أن تعيش محترمة لا أخلاقياً ولا مادياً . [2]

وفي الجزء الثاني من الثلاثية "الحريق" "L'incendie" عام 1954م، ينقل ديب فتاه البطل إلى الريف حيث أصبح شاهداً على الفقر المادى والنفسى الذي كان يعانيه الفلاحون الجزائريون. وقد اكتشف البطل مرة أخرى أن مواطنيه لم يكونوا أسعد حالاً في الريف. وفي نهاية هذا الجزء جعل ديب بطله يشاهد بصمت بداية "الحريق" الذي كان سينتشر بعد قليل خلال البلاد كلها. فالمؤلف يقول: "إنَّ النار قد بدأت ولن تتوقف أبداً. إنها سوف تستمر مشتعلة ببطء وبعماء إلى أن تعم ألسنتها الدموية البلاد كلها بحرارتها المدمرة". [3]

أما في الجزء الأخير "النول" "Le métier à tisser" عام 1957م، فالكاتب يعود بنا إلى المدينة. فعمر الآن شاب مراهق بدأ يعمل كنساج زرابي مثل ما فعل ديب نفسه. والحريق الذي كان قد بدأ في الريف انتشر إلى المدينة أيضاً حيث غزا الفلاحون الجائعون والعراة المدن ليشاركوا في نفس العيشة الضنكة التي كان يحياها من سبقوهم، وفي نهاية الثلاثية نجد عمر، الذي أصبح الآن رجلاً يقف بوضوح كرمز للتمرد الجزائري المتزايد. لقد شاهد ميلاد تطور الروح الثائرة للسكان بينما اكتسب هو وعياً شخصياً عن الحياة السيئة التي كان يعيشها مواطنه. وهو في

١ – سعاد محمد خضر، المرجع السابق، ص 152.

٢ – الدكتور أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الطبعة 5، الجزائر، 2007، ص 98.

٣ – محمد ديب، الحريق، 1945م، ص 133.

طريق نمائه العقلي والروحي والعاطفي والبدني، قد تعلم المعنى الحقيقي للاحترام الإنساني. لذلك فالبطل عمر قرر أن لا يستريح حتى يحقق لنفسه وللبشرية هذا الوعي والاحترام.

وأبطال الرواية إنما يعطون كذلك صورة عن المجتمع في القرية والمدينة فهم أصحاب الأرض أو الفلاحون أو الأجراء الذين يعملون في أراضى الأوروبيين. وتختلف تلك الصورة تماماً عن صورة الجزائر التي نصادفها في قصص كتاب الاستعمار والتي لا تتعدى كونها بلاد الشمس المشرقة والسماء الساطعة ومزارع الزيتون الممتدة على مدى البصر والبحر الهادئ أحياناً والهائج أحياناً أخرى. تلك الصورة تناقضها "محمد ديب" تماماً وأبطال ديب في الثلاثية. هي جزائر أولئك الجزائريين الذين يهبون دموعهم وعرقهم ودمائهم لتخضر غابات الزيتون ولكي تثمر أزهار البرتقال. وديب يصور حياة المجتمع وأمالهم وآلامهم وحرمانهم ووجودهم المرير.[١]

وتبدأ رواية "الدار الكبيرة" بكلمة "أعطني قطعة خبز" يقولها عمر وتلاميذ من سنه لا يتجاوز عمرهم العاشرة لطفل صغير كان قد أحضر معه قطعة و"عمر" هو الشخصية الرئيسية التي تدور حول حياتها أحداث الثلاثية ومن خلال تطور تلك الشخصية وتنامي الوعي لديها يصور لنا نماذج من أولئك الذين يختلط بهم "عمر" أو يعيشون معه: صورة المحيط الذي عاش ونشأ فيه عمر. وتبتدئ الرواية بكلمة أعطني "قطعة خبز" توحي للقارئ لصورة الجُوع الذي سيصادفه مع جميع أبطال الرواية. وترمز "الدار الكبيرة" إلى الجزائر الكبيرة ونماذج سكان البيت هم أفراد ذلك الشعب الجزائري المظلوم الذي تمتص دماءه مجموعة من الأشرار.

فأسلوب ديب أسلوب شاعري جميل ملئ بالصور الموحية المعبرة وهو قد نجح تماماً في اختيار الكلمات التي تستطيع أن تعبر بصدق عن الأفكار التي يقدمها، وكان أسلوبه في روايته الأولى "الدار الكبيرة" "La grande maison" و"الحريق" "L'incendie" و"النُول" "Le métier à tisser" و"صيف إفريقي" "Un été africain" بسيطاً والكلمات والصور معبرة بصدق عن قوة الموقف والفكرة معاً. بينما نرى أسلوبه وطريقته نفسها في الكتابة والعرض قد تغيرت مع روايتيه التاليتين "من يذكر البحر" "Qui se souvient de la mer" 1962م

١ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 153.

و"مسيرة على الضفة الموحشة" "Cours sur la rive sauvage" 1964م. فاختياره لهذه المواضيع وطريقة عرضها تعكس ذلك التحول. فبعد أن كان هدفه "هو الوقوف إلى جانب شعبه المظلوم، نراهُ اليوم يهرب من واقع ذلك الشعب نفسه بل ولا يستطيع أن يدرك وأن يفهم مغزى تلك التحولات التي تعيشها جزائر ما بعد النصر. وبعد أن كان الموضوع والشكل يرتبطان وينسجمان في روايته الأولى نراه قد اهتم بالشكل اهتماماً خاصاً في رواياته التاليتين على حساب الموضوع.[1]

ب)مولود معمري:

وُلد مولود معمري في الثامن والعشرين من ديسمبر 1917م في تاوريرت ميمون في بلاد القبائل. واصل دراسته الثانوية في مدينة الرباط المغربية ثم عاد وأكمل تعليمه العالي بالجزائر ثم في باريس حيث حاز على ليسانس في الآداب. وفي عام 1939م انخرط في سلك الجيش واشترك في الحرب عام 1944م. ثم اشتغل مولود معمري بعد الحرب العالمية الثانية بالتدريس في الجزائر حتى عام 1957م. وقد اضطر حينذاك للهرب إلى مراكش حيث اشتغل معلماً في إحدى المدارس الثانوية في الرباط. وفي أواخر عام 1962م عاد إلى الجزائر.[2]

ونتاج معمري الأدبي يعطى دليلاً ساطعاً على وحدة العملية الأدبية الجزائرية التي تُعبر عن حياة امة بأكملها بجميع فئاتها. كما أنَّ قصصه بمستواها الفني الرفيع تدل على مدى التطور الذي وصلت إليه الرواية الجزائرية الحديثة من حيث القيمة الفنية.

كتب مولود معمري روايته الأولى تحت عنوان "الهضبة المنسية""La colline oubliée" التي ظهرت عام 1952م، والرواية الثانية "إغفاءة العادل" "Le sommeil du juste" سنة 1952م والرواية الثالثة "الأفيون والعصا" "L'opium et le bâton" سنة 1956م.

استطاع مولود أن يصور في روايته الأولى "الهضبة المنسية" والتي هي الجزائر، تعكس صورتها الحياة والعادات والتقاليد للمجتمع الجزائري آنذاك. واستطاع كذلك أن يصور آلام

١ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 171.

٢ – سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر؛ دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية صيدا– بيروت، 1967، ص 181.

ومعاناة المجتمع الذي مزقه الاستعمار وحطم كل ما فيه من جمال وقداسة. ثم صور الحرب التي تغرق الأحباب وتنشر الخراب الاقتصادي وترهن الجماهير الكادحة وتغرقها في البؤس والفقر.وبذلك الأسلوب الهادئ والسلس وتلك الصور الرائعة التي تعكس ذلك الحزن الدفين يصور لنا مولود رحلة الشعب الجزائري الشاقة خلال المحنة الطويلة التي عاشها.

ج) مولود فرعون:

وُلد مولود فرعون في 8 مارس 1913م، بمنطقة تيزي هيبل في بلاد القبائل وينتمي إلى آل شعبان، إلاَ أنَ الاحتلال هو الذي أعطاه اسم فرعون، كما تؤكد الناقدة الفرنسية سيلفى تينو في مقالة بعنوان"مولود فرعون، كاتب في خضم حرب الجزائر" [1]. ولد فرعون في عائلة فقيرة وفي مثل تلك الظروف المادية الصعبة أعطى لها صورة حقيقية في روايته الأولى "ابن الفقير" "Le fils du pauvre" عام 1950م. أصر والد على إرساله إلى المدرسة الابتدائية وربما حالفهُ الحظ في ذلك، لأنه الصبي الوحيد بين شقيقاته، كانت أولى خطاه في التعليم غير موفقة لكنه تحدى مولود فرعون ظروفه القاسية والمصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه القاتم. التحق فرعون بالمدرسة الإعدادية بتيزى وزو عام 1928م، وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعه البائس تمكن من التخرج في مدرسة المعلمين، وانطلق للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته بتيزي هيبل التي عُين فيها مدرساً سنة 1935م. [2] يقول عنهُ أحد الكُتاب "إيمانويل روبلس": "**فرعون لم يكن إنساناً طيباً وهادئاً فحسب، بل أهم من ذلك كان مثقفاً، كان يقرأ أكثر منا جميعاً، وكان يلتهم الكتب ببساطة، كان يضمر الإجلال للكُتـاب الرُوس ويحب فرنسيي القرن الثامن عشر**" [3].

د) كاتب ياسين:

1- THENAULT, Sylvie, Mouloud Feraoun, un écrivain dans la guerre d'Algérie. septembre 2017, www.Idh-toulon.net/spip.php? article 1748.

٢ – مولود فرعون، تر: نسرين شكري، المركز القومي للترجمة، القاهرة–مصر، الطبعة 1، 2014م، ص 9.

٣ – بن سمينة محمد: في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة، مؤثراتها، بدايتها ومراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م، ص 16.

إذا كان الأدب الجزائري في مجموعة قد وضع نفسه في خدمة الشعب الجزائري وثورته، وإذا كان بعض الكُتاب الجزائريين منذ سنوات 1945م قد أصبحوا "صوت المآسى الخرساء" فإن كاتب ياسين يُعتبر من أبرز الكُتاب والشُعراء الذين عبروا بصدق وعُمق عن فترة قاسية من حياة الشعب.[1] يؤكد كاتب ياسين أنه نجح من خلال الكتابة الروائية باللغة الفرنسية في اختراق العالم العربي الداخلي والتعبير عنه، فاللغة الفرنسية تبقى في رأيه أكثر اللغات إمساكاً وتعبيراً عن التناقضات بشكل واضح.[2]

وكان كاتب ياسين صوتاً من أصواته الرنانة كشف أمام الرأي العام العالمي حقيقة مأساة الجزائر. لقد تغنى كاتب بالثورة وبالجزائر ووصف بشاعة حرب الإبادة وعذابات السجون وعبر عن آمال وآلام شعبه بقوة لم يستطع أحد قبله أو بعده أن يعبر بها. لقد عبر عن ذلك كله بلغة تقف من حيث المستوى الفني في مصاف لغة كتاب وشعراء فرنسا الكبار. وُلد كاتب ياسين في سنة 1929م، وبدأ حياته الدراسية في كتاب القرية ومن ثم أرسله والدهُ إلى المدرسة الفرنسية ليواصل دراسته. وقد أبدى كاتب ياسين شغفاً كبيراً باللغة الفرنسية وانكب بإصرار على دراستها ثم أتم تعليمه في كلية سطيف.

وفي سن السادسة عشرة تفتحت عيونه على مآسي بلاده فقد اشترك في مظاهرة سلمية عندما كان طالباً في مدينة سطيف وشاهد بعينيه كيف فرقت السلطات الفرنسية تلك المظاهرة بوحشية. وكانت صدمة قوية بددت أحلام المراهقة ووضعته في خضم المأساة لقد ظلت صور الجثث وأكوام الجرحى تملأ الشوارع، وظلت تلك الصور تطارد خياله في مسرحية "المرآة المتوحشة" وفي كل أعماله.[3]

٥) آسيا جبار:

١ – سعاد محمد خضر، المرجع السابق، ص 190.

٢ – أديب بامية عايدة: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ص 155.

٣ – سعاد محمد خضر، المرجع السابق، ص 191.

وُلدت آسيا جبار سنة 1936م في مدينة شرشال بولاية تيبازة، وأتمت دراستها الثانوية في مدينة البليدة. وواصلت بعد ذلك دراستها العليا وتخصصت في التاريخ والجُغرافيا ومن ثم اشتغلت بالتدريس في مدينة الجزائر العاصمة. وكانت بداية حياتها الأدبية قد تميزت بنشرها بعض المقالات والقصص القصيرة والمقابلات الصُحفية في بعض المجلات الدورية مثل لاكسيون L'action ثم مجلة إفريقيا الناهضة Jeune Africain ونشرت أول رواية لها عام 1957م وكان عنوانها "العطش" La soif، وكانت هذه الرواية بالنسبة للكاتبة تجربة أدبية باعتراف الكاتبة نفسها. ثم بعدها نشرت رواية "الجازعون" Les Impatients والتي تعتبرها الكاتبة أحسن رواياتها.

أعطتنا الكاتبة آسيا جبار صورة عن معالم لتقاليد الأسرة الجزائرية والتي لا تختلف كثيرا عنها في مدن أخرى. حيث سلطة الأب والدين ومصير الفتاة الذي يتقرر بعيداً عن إرادتها.

و) مالك حداد:

ولد سنة 1927م بمدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، شاعر وكاتب وروائي جزائري تعلم بمدينته الأصلية ثم سافر إلى فرنسا ونال إجازة في الحقوق، ولما عاد أصدر مجلة وشارك في الثورة الجزائرية. ظل مالك حداد يحمل مأساته المزدوجة فمن روايته "رصيف الأزهار لا يجيب" إلى "سأهبك غزالة" إلى "الشقاء في خطر" هذا الهم المزدوج "الاستعمار واللغة" هو الذي حدد مسار كل أعماله. فمالك يولي أهمية كبيرة للألفاظ الشعرية والتأملات الوجودية على حساب الشخصيات والمواقف. وهو يعترف بذلك قائلاً: "**إنَّ ما يعنيني هو الشعر وليس القصيدة، وفي مجال الرِواية ما يهمني هو الأثر النهائي وليس البناء والمواقف والشخصيات**".[1] حيث يبلغ العدد الإجمالي لأعمال مالك حداد اثنين وعشرين عملاً أدبياً.[2] شبه روايته الأولى بعنوان "سأهبك غزالة" روايته بقطرة ماء في محيط شاسع، فهذا العمل الإبداعي لا يمثل شيئاً يذكر، يقول: "كان ينبغي لتحقيق هذا الذي يسمى روايته من مجهود كبير، فهذا النص لا يمثل إلا قطرة في

1- Malek haddad, pourquoi des romans? Les lettres française 10-11 décembre 1965, p 4.

٢ – ينظر عمارة كحلي، كتابة مالك حداد من منظور جمالية التلقي، رسالة ماجستير، 1999م، ص 77.

المحيط". [1] كما "أنَّ شخصية الكاَتب والثورة تُشكلان نبعاً غزيراً لرواياته" [2]. ومن المعروف أنَّ مالك حداد توقف عن الكتابة بعد استقلال الجزائر خجلاً من الكتابة بلغة المستعمر.

بالرغم من مشكلة اللغة ظل الأديب نقياً، يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية، برؤية تقدمية في شكلها العام، تتمثل الرؤية الأكثر عاطفية تجاه ثورة التحرير في أعمال حداد فهي تعتبر مجموعة من العواطف والأحاسيس، أكثر منها مجموعة من الأفكار والآراء تشكل رواياته قصائد تأثيرية، تظهر فيها من حين إلى آخر تصريحات وطنية وحماسية، وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره، الحقيقة أن حداد له مفهومه الخاص للالتزام، ففي روايته الأولى "سأهبك غزالة" يروى قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة شابة، تعيش في الواحة التي يتوقف السائق ليستريح، وهو في رحلته عبر الصحراء، فالكاتب في رأى حداد لا يلتزم إلا بشخصيات روايته، لكنه لم يهمل ثورة التحرير، ممن كانوا يقاتلون من أجل تحقيق السعادة والخير لشعبهم. [3]

يمكن القول أن هؤلاء الأدباء الجزائريون الناطقون بالفرنسية بأنهم عرب وبأن أدبهم عربي فيقول مالك حداد:"**نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية**"، ويقول مراد بربون: "**إنَّ اللغة الفرنسية ليست ملكاً خاصاً للفرنسيين وليس سبيل الملكية الخاصة، بل إنَّ أيَّة لغة إنما تكون ملكاً لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي ويعبر بها عن حقيقة ذاته القومية**". [4]

1- Malek Haddad,Je t'offririai une gazelle, SNED 1959, p 12.

٢- دوخان أحمد: شخصيات من الأدب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 71.

٣ - أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت، الطبعة 2، 1977م، ص 107.

٤ - ينظر: Histoire de la littérature Algérienne; Mohamed Benamar ETTAMAR, édition Alger, 1969, p 380

المبحث الثاني: الجزائر في ثلاثية محمد ديب.

أ) في رواية الدار الكبيرة:

قد لا تعدو الحقيقة إذا قلنا أن ثلاثية محمد ديب هي رواية الطفولة، كما أن ثلاثية نجيب محفوظ هي رواية الرجولة، ولكنها طفولة معذبة بائسة فقيرة، وآية ذلك أن الشخصية الأساسية في الثلاثية هي شخصية الصبي عمر الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره، ومن خلال عينيه ومشاعره يطلعنا المؤلف على العالم الذي يحيط به، ومن خلال انفعالاته وأحاسيسه نتعاطف مع هذا العالم أو ننتقم منه أو نثور عليه. لقد رسم الروائي هذه الشخصية في كثير من الحرارة والرقة فصور عفويتها وعواطفها وتفتحها على العالم ببراعة قلما نجد لها نظيراً في الروايات الكلاسيكية الكبرى ديكنز مثلاً، إنه يقدم لنا بطلهُ هذا في المدرسة وفي الصف وفي الشارع وفي أسرته، ومنذ اللمسات الأولى نشعر بإلحاح الروائي على تصوير الفقر، وصراع الأطفال على قطع الخبز بل على الفتات منه من جهة، وعلى تضليل المستعمر لأطفال الجزائر من جهة ثانية، ويتجلى هذا في برامج التعليم وتدريس الطلاب ما لا علاقة له ببيئتهم وفرض النموذج الفرنسي للحياة عليهم، وقد صور الروائي ذلك تصويراً حاداً في درس الوطن مثلاً.[1]

ولا تلبث الرؤية أن تنتقل إلى الدار موضوع الرواية. ويصف محمد ديب هذه الدار وصفاً يحيط بها فيقول: "تشبه دار سبيطار أن تكون بلدة. رحابها الواسعة جداً تجعل من المتعذر على المرء أن يقول ما عدد السكان الذين تؤويهم على وجه الدقة، حين شق قلب المدينة، وأقيمت شوارع حديثة، حجبت العمارات الجديدة وراءها تلك المباني القديمة المبعثرة التي بلغت من تراصها أنها تؤلف قلباً واحداً: المدينة القديمة ودار سبيطار الواقعة بين طرق ضيقة صغيرة ملتوية كأغصان النبات المتعرش..."[2].

وفي هذه الدار ذات الغُرف الكثيرة التي تذكر بالدور القديمة المنتشرة في شتى البلدان العربية، تقيم أسر عديدة، تعيش كلها في الفقر والبؤس والحرمان والجوع، ومن بين هذه الأسر

---

[1] - جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 ،ص 2.

٢- الدار الكبيرة: تر: سامي الدروبي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ص 84.

هناك أسرة الصبي التي يدرسها الروائي على أنها نموذج حي لسائر الأسر، فهي تضم الأم عيني، وابنها عُمر وابنتيها عيوشة ومريم، وكان على الأم الأرمل أن تعيل هؤلاء الأولاد بعد أن مات زوجها بمرض الصدر ولحق به ابنه البكر جلالي بعد سنتين، مصاباً بالمرض نفسه، لذا فهي تعمل ليلاً نهاراً، ولا تكاد تؤمن للأسرة ما تقتات به من الخبز وحده، ومن الطبيعي بعد أن نراها برمة بحياتها متذمرة منها، وماذا عسى أن تفعل إذا ما أضيف إلى أسرتها فم جديد؟ ومن هنا كان حلول إنسان وافد على الأسرة كارثة ستكلفها من أمرها عنتاً وستضيف فما جديداً يجب إطعامه ولو كان أقرب المقربين إليها، وهكذا نفهم ثورة الأم عيني وضيقها حين حمل لها أخوها أمه المريضة (لقد تسلموها أمس، آواها ابنها ثلاثة أشهر، وجاء الآن دور عيني لتعيلها ثلاثة أشهر أخرى، إلا أن الجميع تخلوا عنها فبقيت مع أفراد الأسرة رغماً عن عيني). وفي هذا نَلمح واحدة من الصورة العديدة التي صورها الروائي للفقر في الجزائر.

وهناك في تلك الدار حيث يعيش عُمر، أسر أخرى كثيرة مشابهة لأسرته، ومن الطبيعي أن تنشأ بين هاتيك الأسر ضروب من المودة والخصومة والصداقة والعداوة، ويتيح لنا الكاتب أن نستمع إلى طرف من أحاديث الجارات إذ يتبادلن الشكوى، وإذ يتبادلن الشتائم بسبب الحر والضيق وضنك العيش وبؤس الحياة. وقد صور الروائي ذلك على نحو مفصل واقعي حين عرض المشادة التي قامت بين مالكة الدار وعيني، وما دار فيها من شتائم وسباب.

ولهذا فباستطاعتنا أن نعتبر هذه الدار التي أحاط بها الروائي وصفاً ودراسة، صورة لبقية الديار المشابهة لها، بل نستطيع أن نعتبرها صورة للجزائر كلها بواقعها وتطلعاتها، إن هذه الدار أشبه بسجن: (كان عمر قد انتهى إلى تشبيه دار سبيطار بسجن...) وكانت الجزائر كلها سجناً كبيراً يعيش فيه الناس ويضطربون ويعانون الحياة القاسية الأليمة دون أن يملكوا لهذا الواقع البائس تغييراً أو يستطيعوا منهُ إفلاتاً. يقول محمد ديب: "كان أهله، وجميع أولئك الذين يضطربون حولهُ إلى غير نهاية، يذعنون فيما يظهر لهذا المعتقل. إنهم يحاولون أن يضيقوا حياتهم وأن ينزلوا بها إلى مستوى الحياة في زنزانة من سجن. صحيح أن كل واحد من هؤلاء الناس كان لهُ في أعلى السقف زنزانته كوة صغيرة ينزل عليه منها نور ضعيف. ولكن ما من أحد كان يخطر بباله أن

يتساءل من أن يأتي النُور. هل كان ينبغي لأحد أن يرفع عينيه إلى أعلى؟ هل كان يتسع وقت أحد لأن يرفع عينيه إلى أعلى؟ مستحيل! كانوا جميعاً ينتقلون من عناء إلى عناء وأنوفهم في التراب، وما ينفكون يتحركون كأنهم النحل في ذهابه وإيابه بلا انقطاع. غير أن بعضهم وهم أناس مجانين إذا نظرت إلى الأمر من جميع وجوهه، كانوا يقفزون إلى تلك الكوة، لا يدري أحد لماذا، فيتشبثون بقضبانها الحديدية التي تحول بين أحد وبين الخروج منها، وينظرون إلى السماء الزرقاء صارخين: ماذا؟

كانت دار سبيطار تعيش حياة طائشة عمياء، حياة طائشة عمياء، حياة يهزها الحنق) والغضب والخوف في كل لحظة، كل كلمة تقال في هذه الدار فهي شتيمة أو نداء أو اعتراف. وكان أهل الدار يحتملون ما يحدث من اضطرابات في مذلة.

إن الحجارة في هذه الدار تعيش أكثر من القلوب... [1].

في هذه الدار نشأ عُمر، وفيها تفتحت شخصيته، وما أكثر ما تعرض لشتائم أمه، وقسوتها عليه، وفي هذه الدار لاحظ كيف يعيش الناس، وساعد أمه فرافقها إلى صاحب العمل الذي كان يجني منه الربح من عملها، ليحسب لها أجرها خشية أن يغشها، ورافقها لابتياع بعض ما تحتاج إليه الأسرة، ولقد رضي بالجوع والحرمان مكرهاً، وعضهُ الفقر والعوز بأنياب حادة: "إيه أيتها الأم الحبيبة، أيها الجُوع لك مني أرق الكلمات.. كم مرة ركع على قدمي الجُوع في المساء وقد غرقت نفسه وعيناه في تحية واسعة، بينما الجُوع يبتسم لهُ ويبتسم.. ويقترب منهُ، ويغمرهُ بوجوده السمح الرحيم، ثم إذا بنوم يقظ يرتق في عينيه، فينام والجُوع يهدهدهُ بحركات خفيفة، خفيفة جداً". [2]

إن مقدرة محمد ديب الروائية تتجلى في تصوير تكوّن شخصية الصبي عُمر، بطل هذه الرواية، وتعرفُه على العالم وسط هذا الجُو الذي نشأ فيه، فهو يحاول أن يفهم، ويسعى إلى أن

١- الدار الكبيرة : المرجع السابق، ص 136.

٢- الدار الكبيرة : المرجع نفسهُ، ص 129.

يعرف سبب ذلك الشقاء كله، كما يصور الروائي تفتح نفسية عُمر في فترة المراهقة على الحُب متجلياً في علاقته بزهور إحدى بنات الجيران ممن يقيمون في دار سبيطار.

لقد استطاع الروائي دون تكلف أن يبرز أهم ملامح المجتمع الذي يدرسهُ فعرض واقعهُ المتخلف والعلل التي يشكو منها، ولا بد من التوقف هنا عند أقسى هذه الملامح الواقعية التي عرضها الكاتب، ولعل أولها وأهمها موضوع الجُوع والفقر، وما أكثر ما تعرضت الرواية لوصفهما، والروائي في ذلك يعتمد طريقة اللوحات المستمدة من الواقع المُباشر دون تعليق أو تفسير، بل يترك للمشهد الملتقط أن يُفصح عما يستطيع أن يفصح عنهُ. فهو يقدم لنا مثلاً صورة للأسرة، موضوع روايته، التي طالما أرقها الجُوع : "كان الحر الشديد الذي يصاحبهُ الجُوع دائماً، يؤرق لياليهم، غير أن الجُوع أشد رهبة من الحر. إنهُ ماثل لهم دائماً. وكان هذا الجُوع في جسم عُمر أشبه بشعلة خفيفة لا تُدرك، تُولد له نوع من النشوة. لقد خف لحمه فجأة وأسرف في الخفة، وضعف وأسرف في الضعف فصار لا يسمح لهُ أن ينغمس في كثافة الليل، حيث النوم دم وشهوات.." [1] ويصور محمد ديب في لوحة أخرى الجهود التي يبذلها أفراد الأسرة في التغلب على الجُوع ومُحاولة خداعه وإسكاته، بنبرة لا تخلو من كآبة وقتامه يقول :"إنهم في سائر النهار أقل جهامة. حتى إذا اقتربت ساعة الطعام، عاودهم شاغلهم الوحيد، فانقطعت مريم وانقطع عُمر عن اللعب، وارتسمت في وجوههم معاني الغضب.

كانت عيني، فيما مضى من زمان، تستطيع أن تهدئهم بحيلة ماكرة : كانوا أيامئذ صغاراً.

إنها تقول لهم من حين إلى حين: اصبروا قليلاً.

وفيما هي تقول لهم ذلك، يغلبهم على أمرهم نعاس لا حيلة لهم في دفعه، فيطبق أجفانهم بثقل كأنهُ ثقل الرصاص، وكانوا ينامون.. ثم يغرقون في سبات عميق .. إن صبرهم لا يمكن أن يدوم مدة طويلة.. نعم كانت الحلة لا تحوي إلا ماء يغلي" [2].

١ الدار الكبيرة : المرجع السابق، ص 147.

٢ الدار الكبيرة : المرجع نفسهُ، ص 182.

ب)في رواية الحريق:

تُشكل رواية الحريق الجزء الثاني من هذه الثلاثية، تبدأ زمنياً من حيث تنتهي رواية "الدار الكبيرة " أي مع نشوب الحرب العالمية الثانية، وإذا كانت الحرب وآثارها لم تظهر بجلاء في الجزء الأول من الرواية، فإنا سنرى طلائع تأثيرها في رواية الحريق. [1]

تمتد هذه الرواية، كما هي الحال بالنسبة إلى الرواية السابقة، شهوراً معدودات، هي شهور الصيف الطويل وبعض الأشهر التي معهُ، ولهذا فإن فسحتها الزمانية محدودة أيضاً في الجزء الأول من الثلاثية، إلا أن المكان مختلف هنا، وإذا كان محمد ديب قد عرض في رواية الدار الكبيرة واقع أبناء المدينة خلال حياة أسرة في دار واسعة من دور مدينة تلمسان فإنهُ ينقلنا، في هذه الرواية، إلى الريف ليدرس وضعهُ والحياة فيه دِراسة دقيقة حيَّة. وهكذا سيتاحُ لهُ أن يطلعنا على جانب بائس آخر من حياة الجزائر، بل لعل بؤس الريف وفقر الفلاحين يبدوان أشد قسوة وأكثر حلكة. إن تصوير المكان يستأثر باهتمام الكاتب أول ما يستأثره، وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل حين قلنا أن الإيقاع المكاني أضفى على ثلاثية محمد ديب من الإيقاع الزماني، فهو ينقلنا إلى أعماق الريف، إلى منطقة منعزلة في بني "بوبلان". وتبدو هذه المنطقة الجبلية نائية عن العالم، رغم أن المسافة التي تفصلها عن تلمسان لا تزيد على ثلاثة كيلومترات. ويرسم الروائي صورة موجزة جداً، ولكنها شديدة الأسر للفلاحين في مستهل روايته فيقول: "إن حياتهم تنقضي أيام زراعة ورعى لدى المستوطنين الفرنسيين، وهي حياة تبلغ من طابع القدم، ويبلغ أصحابها من بساطة

[1] – جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 ،.ص 10.

العيش درجة تحسبهم معها آتين من قارة منسية. إن الأرض هناك في الأعلى صعبة المراس لا ماء فيها، قاحلة تختنق ظمأ. ولا تكاد سكة المحراث القديم أن تخزها". [1]

ولكن كيف أُتيح للكاتب أن يصل إلى هذه المنطقة ويطلعنا على ما فيها؟ إن الرابط الذي يربط بين الروايتين هو شخصية عُمر بطل الرواية الأولى.

وفي هذه المنطقة يشاهد عُمر أطفالاً في مثل سنه، ولكنهم أشد منهُ بؤساً وأكثر تخلفاً، وفيها يتعرف على شخصية متميزة هي شخصية "الكومندور" الإنسان الذي بترت ساقاه في الحرب والذي بلا الحياة وعرفها فتركت هذه المعرفة في نفسه آثاراً عميقة من الوعي والفهم والإحساس الصادق والتجربة المرة الأليمة، وما أكثر ما حدثه "الكومندور" عن نفسه وعن الواقع المحيط به وعن أحلامه ورؤاه وألمه الدفين. كما عرف عُمر هناك أيضاً عدداً من المزارعين والفلاحين والعُمال الزراعيين وأصحاب الأراضي من المستعمرين الفرنسيين.

قرّر الفلاحون ذات يوم أن يقوموا بإضراب، ويشكل هذا الإضراب محور الرواية في اعتقادنا. [2]

لقد كان هذا الإضراب إرهاصاً بالثورة ونتيجة لبؤس طويل مستديم، فهو حصيلة العمل الشاق الذي لا يفضي إلا الفقر المدقع. وفي أثناء الاستجوابات كانت الشرطة تُلح في السؤال لمعرفة المحرضين على الإضراب فكان الفلاحون يجيبون بقولهم: "المسؤول عن الإضراب هو البؤس الذي نحن فيه". ويعرض الروائي بعض نماذج من هذا البؤس الذي انتهى إلى الإضراب الشامل فيقول: "صاح علي بن رباح في ختام المناقشات : منذ خمسة عشر يوماً و لم نر قطرة من الزيت في بيتنا. إني مدين للبقال وليس معي ما أدفعهُ لهُ. إننا نموت شيئاً فشيئاً. إننا نُطالب بحق الحياة لنا ولأطفالنا". ويقول آخر مخاطباً إخوانه المصريين: أنا من دوار (عشبة) ولكنني عملت دائماً هنا،

١ – رواية الحريق: ص 13.

٢ – ينظر: رواية الحريق، ص 183.

وأنا وزوجتي لم يتركنا الجُوع في يوم من الأيام. فلو آخذتموني إلى دكان بائع من باعة الطعام لأكلت كل ما عنده. إن أطفالي يموتون جوعاً". [1]

وكان الحريق في ذات ليلة.

لقد أضرمت النارُ في أكواخ الفلاحين الذين يعملون في المزارع الفرنسية انتقاماً وبطشاً، فأحرقتها وشردت أصحابها. إلا أنَّ ها الحَريق الذي أريد أن يكون ردعاً وزجراً وقضاء على التمرد لم يكن إلا بداية لنار أكبر منهُ هي نَّارُ الثَّوْرَة.

لقد شب حَريق، ولن ينطفئ هذا الحَريق في يوم من الأيام. سيظل هذا الحَريق يزحف في "عماية، خفياً مستترا، ولن ينقطع لهيبه الدامي إلا بعد أن يفرق البِلادَ كُلها بلالائه". [2]

ويعود عُمر آخر الصيف إلى بلدته وإلى الدار الكبيرة، لتجابهُ المشكلة القديمة، مشكلة الخُبز. لقد انتهت العُطلة وأنبأ عُمر أمه بأن العودة إلى المدرسة قريبة. إنهُ في حاجة إلى ملابس نظيفة وإلى كُتب ... إن مطلباً من هذا النَّوع هو دائماً تمهيداً لمشاجرة بينهُ وبين عيني.

ج) في رواية النُول:

نصل في نهاية المطاف إلى الجُزء الثالث والأخير من هذه الثلاثية موضوع دراستنا. ولئن كنا قد رأينا صورة عن حياة الأسر الفقيرة البائسة وعشنا معها من خلال شخصية الفتى عُمر في رواية الدار الكبيرة ثم انتقلنا مع البطل نفسه، في رواية الحَريق إلى الرِيف فاطلعنا على الواقع البائس واستغلال المستعمرين وأصحاب الأراضي للفلاحين، إنَّ رواية النُول تعود بنا، معَ البَّطل، إلى المدينة، مدينة تلمسان لتصور لنا قطاعاً آخر هو قطاع العُمال وترسمُ لنا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي، وما يدور في ضمائرهم، محاولة بذلك إتمام الصورة العَامة للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، وفي فترة الحرب العالمية الثانية على وجه الدِقة. وتكون الثلاثية بذلك قد صورت الواقع

١ – رواية الحريق: المصدر نفسه، ص 217.

٢ – الحريق: المصدر السابق، ص 226.

العربي في الجزائر في شتى جوانبه ومختلف طبقاته، مع إلحاح خاص على الطبقات الشعبية الفقيرة المستغلة، من فَلاحين و عُمال.[1]

في هذه الرواية يُعود بنا المؤلف إلى تلمسان، وإلى الدار الكبيرة نفسها التي كانت موضوع الجُزء الأول، إلا أنهُ لا يتوقف عِندها إلا لحظات، فما من شيء قد جد في حياة الدار، وما من شيء في بؤس أسرة البطل أو أسر جيرانه قد تغير، فأختاه ما تزالان تعملان في المصنع، وأمه تزداد شقاء فلا يُتاح لها أن تدبر معاش الأسرة إلا بشق النفس، "والمرأة الوحيدة يدب إليها الهرم قبل غيرها". كما قالت إحدى النسوة، وما أشد ما ينطبق هذا القول على الأم المعذبة عيني. وليس غريباً أن نسمعها تصرخ في بؤسها ووحدتها وشقائها هذه الصرخة التي تعبر عن آلام جُموع من الناس غفيرة: "على هذه الأرض اللعينة وُلدنا كما يُولد العار، وأكلنا كما نأكل الحثالات، وتركنا كما يُترك المنبوذون، حتى خبزنا أسود كسواد هذا الليل الذي يلفتا بظلامه".[2]

فإذا ما انتقلنا إلى هيكل الرواية وجدنا مُحمد ديب يقيم بنية رواية النُول على حدثين أساسين: أولهما عَمل عُمر في معمَل النسيج، وهذا ما أعطى الرواية عُنوانها. والثاني ظُهُور جُموع غفيرة من المتسولين اجتاحُوا المدينة وشكل ظهورهم ظاهرة غريبة، ومن تضافر هذين الحدثين ينقل إلينا الواقع الحي في أرض الجزائر.

لقد ترك عُمر المدرسة إلى الأبد، وأمضى شهور الصيف في بني بوبلان وها هو ذا الآن في تلمسان وقد بلغ الخامسة عشر من عُمره ولا بد من أن يعمل، وكان على أمه عيني أن تسعى لإيجاد عَمل لهُ.[3] ولهذا فقد قصدت منزل (ماحي بوعنان) والتمست منهُ أن يساعد ابنها اليتيم، فأمرها أن ترسله إلى معمله، وبين دخول عُمر المعمل في أول الرِواية وخُروجه منها في آخرها مطروداً إثر مشاجرة دامية مع (حمدوش) أحد العُمال، يبسط الروائي أمامنا صورة واسعة عن حياة

---

[1] - جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 ، ص 18.

٢ – النُول : ص 45.

[3] – جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 ، ص 19.

العُمال وبؤسهم وسلوكهم، ويعرض نماذج عديدة منهم، وشخصيات متمايزة متباينة متخاصمة تعكس بمجملها الحياة في الجزائر، وما يحتمل في أعماقها من اتجاهات فكرية وما تنطوي عليه من بؤس واستغلال ورؤى وأهداف ومشاعر ونقمة ورغبة في الثورة والتحرر. ولقد وُفق الروائي في اختيار جو المعامل لتصوير الواقع في هذه الفترة بشكل خاص، ذلك بأن الصناعة قد نشطت في هذه الآونة بسبب الحرب نشاطاً كبيراً، واستقطبت المعامل كثيراً من العُمال، وأن دراسة وضع العُمال ليشخص الواقع في الجزائر خير تشخيص. يقول محمد ديب: "... على أن المشهد المشجع المنعش إنما كان مشهد المعامل، إن هذه المعامل كانت منذ زمن غير بعيد تعمل في تثاقل. من ذا الذي لا يتذكر ؟" [1].

بهذا الجُزء من الثلاثية تتضح، كما رأينا، رؤية الواقع وتتعمق ويظهر منظور الروائي الاجتماعي وأسلوبه الواعي على نحو عميق حاد. ذلك بأن محمد ديب قد ألح، في هذا الجزء من الثلاثية، إلحاحاً كبيراً على تصوير قسوة العمل واستغلال العُمال، وأثر الوُجُود الاستعماري على نُفوس الناس. وأن ما درسهُ وشرحهُ فرانز فانون في كتابه "معذبو الأرض" عن حالة الإنسان المستعمر والأمراض العصبية التي يُصابُ بها، والتمزق الذي يُعانيه، والصراع الباطني والخارجي الذي يتعرض لهُ قد بسطهُ محمد ديب هنا بأسلوب روائي فني إذ جسدهُ في أشخاص ودرس ارتباط هؤلاء الأشخاص بعضهم ببعض فأثبت بذلك مقدرة عميقة على فهم الواقع ورصده ونقلهُ. [2]

وإلى جانب ذلك فإن عناية محمد ديب بالتفصيلات الصغيرة من حياة الناس التي تطالعنا بها في الروايتين السابقتين ما تزال تُميز أسلوبهُ وفنهُ في هذه الرِواية. نجد مثلاً في تصوير توزيع الفَحم بسبب ضائقة الحَرب وتوزيع الدقيق، والاعتقالات وغير ذلك من صور الحياة اليومية التي تعكس دقائق حياة الناس الفقراء ومعاشهم. [3]

---

١ – النُول : المصدر نفسه، ص 15.

[2] – جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 ، ص 25.

٣– النُول: المصدر السابق، ص 91.

المبحث الثالث: في أسلوبية الكتابة الروائية للرواية الثلاثية لمحمد ديب:

يطغى على الثلاثية الواقعية في طبيعة روايات محمد ديب إلى الواقع الذي يشكل حكاية الرواية، فالروائي حسب ديب ينبغي أن يكون روائياً مبدعاً بمعنى الكلمة بعيداً عن الدراسة الاجتماعية المتخصصة في الشؤون المحلية، ولهذا السبب من الأهمية أن يقترب الكاتب من الواقع اقتراباً واعياً دون التصريح المباشر، إذ يكفي التلميح ليفهم المتلقي المقاصد الضمنية. يذكر عن ذلك: "**أريد أن أساهم في عملية التطور التي تشهدها البلاد، إذ يُهمني جداً توضيح توجه وميول هذا الشعب، في المرحلة الراهنة، فذلك سيساعده على معرفة مستقبل جميع الخطوات التي يخطوها**". [1]

في ثلاثية الجزائر، طرح محمد ديب سؤالاً جوهرياً تقف عليه الرواية، في اشتغال الخطاب الروائي على قصة طابعها العام اللامعقول. تنقل هذه الرواية واقع الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي. وهو حقيقة لمأساة فيها بؤس وشقاء لحياة البشر، لا معقولاً من الصعب أن يصدقه المتلقي. هكذا يطرح المؤلف في مقدمة الرواية، وفي نسيجها العام، مشكلة العلاقة بين الخيال الروائي والمرجع الواقعي اللامعقول، أو مشكلة العلاقة بين خيال سردي يحتاج إلى دليله الفني، وواقع لا يطرح سوى معالم ثابتة ولكنها لا تصدق. ويبرز السؤال: كيف يمكن تحويل ما لا يصدق إلى عمل إبداعي سردي أساسه الخيال وقابل للتصديق؟

فالواقعية هي الحل لدى محمد ديب، بإدراك قوانينها الداخلية واكتشاف أسرارها، فهناك جدلية يقف عليها الكاتب وتتمثل في الحضارة والبُؤس، فهذا التقابل بين الحضارة المزيفة والبؤس المتجلي تعتبر اعتراضاً صريحاً وتصحيحاً لزعم بنى عليه الاستعمار وجوده وبقاءه وخطابه السياسي لتبرير الاحتلال (الحضارة، البربرية والتخلف) الذي كشف الانفصال والقطيعة بين الأنا والآخر ومن هنا كانت الانطلاقة سواء في أعمال ديب أو الأدب الجزائري لتفجير الطاقة السردية. [2]

1 - Josette Bryson, Mohammed Dib: La grande maison 1952 et sa réception critique dans la presse, page 89, œuvres et critiques revue internationale de la réception critique des œuvres littéraires de langue française, éd jean michel place 1979.
2 - Nadjet Khadda, Mohammed Dib, cette intempestive voix recule, p 29.

يبدأ محمد ديب مشواره الأدبي بالثلاثية "الدار الكبيرة، الحريق، النُول"، فالجزء الأول من ثلاثية الجزائر الدار الكبيرة أثارت اهتمام الصحافة، لكونها أول رواية لكاتب جزائري من أصول عربية إسلامية، مكتوبة بالفرنسية وقد نشر هذا العمل في فترة حساسة من تاريخ الجزائر المستعمرة، فقد كتب عنه إيبر بواري Herbert Poirier في الرسائل الفرنسية Les Letters françaises مشيداً برواية الدار الكبيرة،"**رواية محمد ديب كتاب مهم، فقد اشتغل الكاتب في البناء والقصة والأسلوب اشتغالاً يبدو فيه الكل وكأنه بسيط، أي السهل الممتنع، وحتى صناعة الحوارات جاءت موافقة لكل النص أو بدت كذلك**". أما أندري دلماس André Dalmas فقال عنه: "**محمد ديب كاتب حقيقي يتقن اللغة الفرنسية، كاتب حقيقي من أصل عربي**".[1]

كانت الثلاثية بمثابة لوحة فنية متكاملة وشاملة للمجتمع الجزائري في فترة الحرب العالمية الثانية، إذ رصدت الظواهر الاجتماعية والسياسية وتطوراتها في الجزائر بين عامي (1939 و1942) وذلك من زاوية إحدى الأسر الجزائرية والتي تمثل حقيقة باقي الأسر المحرومة من حقوقها المعيشية في الجزائر.

وكُل جزء من الثُلاثية يحمل معنى:

عُنوان الجزء الأول من الثلاثية "الدار الكبيرة" وفيه تطغى شخصية عمر على جل المشهد الروائي، شخصية طفل باحث عن الحقيقة وعن أجوبة تريحه للأسئلة الكثيرة التي تطرح نفسها عليه يومياً.

الجزء الثاني بعنوان "الحريق" يطغى عليه صوت الفلاحين هو الذي تدور حوله أحداث الرواية.

أما في الجزء الأخير "النُول" هنا يعود عمر ليعمل في مصنع النسيج.

1 - Josette Bryson, Mohammed Dib: La garande maison 1952 et sa réception critique dans la presse,p 86-87, œuvres et critiques revue internationale de la réception critique des œuvres littéraires de la langue française, éd jean michel place 1979.

فقد قيل عن ثلاثية محمد ديب أنها ابتعدت عن نظام الحكاية وعن الواقعية شكلاً ومضموناً، يقول عبد الكبير الخطيبي: "**كان ديب يحلم بأن يصبح هو بلزاك الأدب الجزائري، مع الفرق بأن يكون بلزاك برؤية ماركسية**". [1] وترى يمنى العيد الكاتبة اللبنانية "أن روايات محمد ديب الأولى أسقطت قوانين السرد القصصي من بطل، عقدة، حل. كما أنَّ واقعها المرجعي لم يكن قصة مكتملة، يتشوق القارئ لتتبعها ومعرفة مصير أبطالها. حاول محمد ديب توليد الجوانب الحقيقية من الواقع المرجعي، رغم كون هذا الواقع في زمنه كان يبدو فوق الحقيقي. وراحت تتظهر أن إبداع محمد ديب كان لواقعية تتجاوز الواقعية، ولهذا السبب اختلفت واقعيته في الثلاثية عن واقعية غوركي في الأم، وعن الواقعية الطبيعية عند زولا، كما اختلفت عن الواقعية في روايات القرن التاسع عشر الأوروبية. [2]

استلهم محمد ديب الثلاثية من أحداث حقيقية ومعاصرة له كالحياة في دار سبيطار، في قبو "ماحي بوعنان" والهجرة الريفية نتيجة البؤس من "بني بوبلان"، فاجتياح المتسولين للمدينة حقيقة، وما أنجزه محمد ديب أنه أعاد إبداع الجو الذي كان بين سنوات (1939 و1942) بمدينة تلمسان.

يُحدد في ثلاثية الجزائر الزمن الداخلي وامتدادهُ انطلاقاً من إشارات سياسية واجتماعية وردت في النص الروائي، فهي تمتد ما بين الإعلان عن الحرب العالمية الثانية (1939) إلى غاية دخول الأمريكان إلى الجزائر (نهاية 1942)، وما يميز هذا الزمن الخاصية الطبيعية والقصد بها إسقاط حياة خاصة لشخصية تخيلية على خلفية حقيقية هي التاريخ، وما يميز هذا التاريخ هو الخبرة المشتركة لدى مجموع القراء، وتكون النتيجة لهذا التوظيف إضفاء الطابع الواقعي: "**كان سُكان دار سبيطار قد سمعوا أصوات صفارة الإنذار عدة مرات مُتتالية خلال الأسابيع الماضية، كانت صفارة الإنذار قد جربت باطراد، وقد خيل إليهم أنَّ الحرب ستندلع، لا شك أن الحرب ستندلع...**

١ – الخطيبي عبد الكبير: في الكتابة والتجربة، ترجمة، محمد برادة، دار العودة بيروت 1980م، ص ص 58، 59.

٢ – يمنى العيد: فن الرواية العربية، دار الآداب، الطبعة الأولى، 1998م، ص ص 105، 106.

كان يقال أنَّ الذي شهر الحرب رجل قوي جبار، إن شعاره ذلك الصليب المعقوف الذي يشبه عجلة... وكانت هُناك صلبان (قد) رسمت بالقطران وكتبت إلى جانبها:يعيش هتلر".[١]

فزمن رواية الحريق هو تعبيري ورمزي لأنه من المفترض أن يمثل الزمن الحقيقي. فهذا الزمن يُقدم شُمولية التجربة من خلال تعدد الظواهر ومن خلال العمل المنفصل والانتقالي للكتابة الذي يُشكل في النهاية تطور الوحدات المتشابهة. ففي رواية الحريق يركز الكاتب على مفردات توحي بحالة من المرض والتأزم (الخراب، الظلمة، الموت، الوحل، الغبار، البؤس) فكلها مفردات تمهد لأحداث لاحقة.[٢] فهي واقعية متأثرة بالكتابة الفرنسية، فهو أسلوب يعتمدهُ الكُتاب لتأكيد التواجد والتميز العربي الإسلامي الذي حاول الاستعمار أن ينفيه، فهي واقعية تعبر عن أدب الرفض والمعارضة.

فهي واقعية متأثرة بالكُتاب الإيطاليين وبالواقعية الجديدة. فقد استخلص ديب بشكل كبير من مجموعة كُتاب إيطاليا الجنوبية "كارلو ليفي Carlo Levi، إليو فيتوريني Elio Vittorini، إقنازيو سيلون Ignazio Silone"، مثلما تصدى هؤلاء الكُتاب للفاشية نجد محمد ديب نفسهُ تصدى للوجود الاستعماري.[٣] تُعتبر هذه أهم نقطة في مرحلة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، التي استشعرها محمد ديب لإسماع صوت الأفراد الذين يعجزون عن إيصال أمانيهم الضائعة، فهؤلاء البُسطاء من عامة الشعب، فاقت حيرتهم حيرة الأطفال، والطفل عُمر يقف شاهداً وفاضحاً، ولهذا فهم لا يشعرون بحرج لوجوده بينهم.[٤]

وشخصية عُمر لم تكن تُحيل إلى الكاتب كما ادعى البعض، فهذا التقارب الذي نفاهُ ديب في حوار لهُ أجرته جريدة "الجهد الجزائري" في 1952/12/19: "طُفولتي لا علاقة لها

١ – محمد ديب: الثلاثية، ترجمة: سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة 1، 1968 م، ص145.

2 - Nadjet Khadda, Mohammed Dib cette intempesive voix recule, p29.

3 - C. Bonn, Le roman Algérienne de langue française, p p 30-31.

4 - Jacqueline Arnaud, La littérature maghrébine de langue française, paris publication du sud 1986, p 170.

بطفولة عُمر، ولكن ما قيل عن عُمر والوسط الذي يعيش فيه كان موجوداً في الواقع، فلا وجود لمعلومة من المعلومات أو جزئية من الجزئيات وردت من نسج خالي". [1]

إذن، كُل ما كتبه ديب من الواقع ولا وجود له من وحي الخيال، فهذه هي خصوصية الثلاثية تعود إلى طبيعة الواقع المعاش، أو الواقع الذي يُشكل حكاية الرواية، فديب يعبر عن قضايا مجتمعه ويتعاطف معه و بصورة أخرى يمكن القول أنه ثائر من أجل مقاومة الاستعمار.

نجد خصائص أسلوبية في رواية "الدار الكبيرة" التكرار لبعض الألفاظ والصيغ، تكرار ازدواجي يقوم على الجمع بين عبارتين أو كلمتين، أو تكرار تشابهي يقوم على المقاربة بين عبارتين متشابهتين. فهذه التقنية في التكرار "خاصة بالشعر" تُولد إيقاعاً داخل النص يؤكد مقاربته للنص الشعري. وهذا أمر واضح لكون محمد ديب كان شاعراً بالدرجة الأولى كما كان يحلو له أن يردد"**أنا شاعر بامتياز وقد انتقلت من عالم القصيدة إلى الرواية ولم يحدث العكس**". [2]

وفي الجزء الأخير من الثلاثية "النُول" يركز الكاتب على البطالة التي انتشرت وتسببت في انتشار التسول، بل حتى الذين اشتغلوا في الحرف اليديوية كانوا لا يعملون إلا نصف ساعة في اليوم، وبعضهم يمارس أعمال أخرى سعياً لكسب المال ولكن من المؤسف مزال الفقر والجُوع يطاردهم. [3]

فكان من آثار انتشار حالة الجوع، ظهور بعض الأمراض الجسدية والعقلية في الأوساط الشعبية، فالتمزق الداخلي للشخص الفقير يبرز غالباً من خلال تصرفات وسلوكات بعيدة عن الانسجام والتوافق. [4]

1 - Mohammedi Tabti Bouba, La société Algérienne avant l'indépendance dans la littérature, p90.

2 - Jean Déjeux, Mohammed Dib, écrivain Algérien, p 10.

٣ - ينظر: محمد ديب: الثلاثية الدار الكبيرة، ص ص 112-113.

٤ - ينظر: Belhadj Kacem Noureddine, Le thème de la dépossеion dans la trilogie de Med. Dib, p74.

استطاع محمد ديب أن يرسم صورة للمتسولين في رواية النُول، فتحدث عنها ما يقارب خمسين صفحة، فقد امتلأت المدينة بهؤلاء في كل مكان من أزقة المدينة. وقد قرب الكاتب الصورة الحاضرة وصورة كان قد استرجعها من الماضي حينما تملأ قطعان الغنم المدينة كل صباح.

فكانت المدينة تتحرر من هؤلاء المتسولين وتتنفس هواءً نقياً وتعود الشوارع إلى نظافتها وجمالها كلما قامت السُلطات بإرغامهم على المغادرة، فيشحنون كما تُشحن البهائم على متن سيارات النقل إلى وجهة يجهلونها، حتى أن الكاتب يتساءل هنا: "**إلى أين ذهبت سيارات النقل التي شحنوها بهم؟ ماذا صنعوا بهؤلاء الرجال والنساء والأطفال؟ آه... كم تبدو الشوارع أنيقة**". [1]

لكنهم يعودون مرة أخرى بأعداد كبيرة دون أن يتوقع أحد ذلك، بعد أن تطلق السُلطات سراحهم، فنجد الكاتب هنا يشبههم بالمتسولين الشياطين لا عقل لهم . [2]

فكان هؤلاء المتسولين يصرخون بأعلى صوت يطلبون المساعدة والرأفة "الحسنة،إخواني. الحسنة ساعدونا بالحسنة. من أجل حب الله والأموات، ساعدونا يا ناس الخير". [3]

ويلجأ محمد ديب أيضا إلى اللغة العربية واستعمال عبارات تبين لنا الثقافة الجزائرية، فمنهجية ديب توحي لنا بأنه مدرك جيداً مدى الأزمة التي وقعت بها الجزائر وأزمة الشعب الجزائري في فترة الاستعمار الذي حاول أن يطمس الهوية الجزائرية، وخاصة اللسان العربي.

ملخص هذا البحث أو كنتيجة لما توصلنا إليه من خلال دراستنا لموضوع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

بإمكاني القول بأن تاريخ أية أمة وحياتها وحضارتها يمثل جسمها وإنّ اللغة هي روحها. وفرنسا عندما أرادت أن تمحو الشخصية الجزائرية عملت على محو اللغة العربية حتى تقضي عليها. لكن هدف الشعب الجزائري هو ألا يكون فرنسياً، وأن يسترجع شخصيتهُ واللغة هي واحدة من شخصيته وهنا كانت النقطة الفاصلة إذ نجد هؤلاء الأدباء الذين تأثروا باللغة وبالثقافة الفرنسية

١ – محمد ديب : الثلاثية، النُول، ص450.

٢ – ينظر محمد ديب: الثلاثية، النُول، ص ص412-476.

٣ – ينظر: Mohammed Dib, Le métier à tisser, p p 21-22.

كتبوا باللغة الفرنسية حاربوا المُستعمر بلغته وفي الوقت نفسه كان ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، صور فيها الكُتاب الجزائريين عن حقيقة الجزائر ودائما صاحب اسم الجزائر في رواياتهم، أبرزهم كاتب ياسين برواية نجمة والتي تُعد من أبرز نماذج الرواية الجزائرية الفرنسية اللغة.

ويمكن القول أن هذا الأدب الجزائري والذي يتمثل في الرواية الجزائرية أنه وبفضل الكُتاب الجزائريين استطاعوا أن يحاربوا الاستعمار بسلاحه، وأنَّ هذا الأدب الفرنسي اللغة هو أدب وطني، صور كفاح شعب الجزائر ولكنهُ بالمقابل عجز عن الأداء الكامل وذلك للانفصال بين اللغة المعبرة والواقع، فالأديب لا بد لهُ من التعبير عن الأفكار والأحاسيس إلا باللغة القومية التي يكتب عنها ويدافع عنها، لكن بحكم الظروف القاسية هي التي فرضت اللغة على الكُتاب وهم من بالمقابل لا يفرطوا في الدفاع عن وطنيتهم وعن هويتهم الجزائرية فهذا الأدب من شخصية جزائرية وتعبير نابع من روح الشعب الجزائري، وهذا من براعة وإبداع الأدباء في جعل اللغة كسلاح لمحاربة المستعمر.

الخاتمة

يمكن القول من خلال الدراسة التي أجريتها أن أوضح المفاهيم للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وتحديد هويته ومسار الرِّوايّة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وبأن الأدباء الجزائريون الذين ذكرناهم في دراستنا أنهم استطاعوا وبكل جدارة تصوير الجزائر الحقيقية في رواياتهم الأدبية للقارئ وبطريقة فنية من خلال أفكارهم وثقافتهم الواسعة وأسمعوا صوت الجزائر المكافحة للعالم. بفضل اللغة التي استعملوها كأداة والتي كانت من المفروض عليهم استعمالها في تلك الفترة لظروف خاصة فكانت تلك اللغة راقية وجميلة ضاهت في جمالها لغة بلزاك وفي الوقت نفسه استطاع الكُتاب الجزائريون أن يعبروا عن خصوصيات الثقافة العربية والأمازيغية و لم يتخلوا عن هويتهم فكانوا يحاربون المستعمر بلغته.

ومنه نرى أنَّ الاستعمار الفرنسي حاول بكل قوته أن يقطع صلة الشعب الجزائري بماضيه وثقافته ولغته وديانته وفرض عليه لغته وثقافته الفرنسية، لكنها وجدت أن الشعب تصدى لها بالمرصاد وقاومها بكل قوته فاللغة التي فرضت على الجزائريين هي نفسها الظروف التى فرضت على الكُتاب والأدباء استخدام تلك اللغة لتكون في أيديهم سلاحاً مقوماً ضد المستعمر.

فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بفضل كتابها الجزائريين استطاعت أن تفرض مكانتها في الساحة الأدبية لأنها تحمل في صفحاتها هموم وآلام وأمال المجتمع الجزائري واستطاعت كثيرة أن تصور واقع وحقيقة الجزائر المكافحة فهؤلاء الأدباء أنتجوا أدباً يحمل روح المقاومة بحكم الظروف التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة ساعدت الكُتاب على إيجاد مواضيع ذات صلة لها بالأدب الفرنسي انطلاقا من الثورة إلى البطل. فالرواية الجزائرية أعطتنا صورة واضحة وواقعية عن الأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري في تلك الفترة القاسية والصعبة على المجتمع الجزائري. فجل هذه الصعاب التي عاشتها الجزائر ساعدت الأدباء على أن يفجروا طاقتهم ويكتبوا عن بلادهم الجزائر مما ساعد أيضا على ظهور الرواية الجزائرية.

استطاع محمد ديب من خلال ثلاثية الجزائر "الدار الكبيرة"، "الحريق"، "النُول" أن يصور الجزائر على حقيقتها من فقر وجوع وحرمان. كما قال عنها أراغون: "أنها مذكرات الشعب الجزائري" فديب ترك أعماله الخالدة باسم الجزائر.

فهؤلاء الكُتاب حتى وإن كتبوا باللغة الفرنسية كأمثال كاتب ياسين ومولود فرعون ومعمري فإنهم يناضلون من أجل قضية شعب يحاربون المستعمر بلغته فالظروف هي التي كانت تحكم في تلك الفترة، كان ولا بد من الكتابة باللغة الفرنسية. لأن المهم بالنسبة للكاتب في اختياره للكتابة باللغة ما هي إلا أداة للتعبير تفرضها ظروف تاريخية وخارجة عن إرادته ولكن المهم بالنسبة إليه هو التعاطف مع قضية شعبه ومد يد المساعدة إليه والوقوف إلى جانب قضيته العادلة وأن يعبر عن ما يعانيه الشعب بصدق وأصالة.

صاحب ذكر الوطن (الجزائر) في جميع الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية منذ ولادة الرواية الجزائرية مما يدل على أن الأدباء جزائريون الأصل والتاريخ ويشعرون بما يشعر به شعبهم وأنهم يحملون معاناة الشعب وقضاياه في ذاكرتهم. فظروف الجزائر القاسية أعطت للكُتاب الجزائريين مواضيع هامة للكتابة وتحرير أفكارهم ورسم صورها الحقيقية بفضل طريقة أسلوبهم في الكتابة من خلال ما تأثروا وما شاهدوه من أحداث جعلتهم يغيرون وجهة نظرهم اتجاه المستعمر فاستطاعوا أن يبدعوا في الكتابة بكل تفنن. فنجد مثلاً مولود فرعون يقول: "أكتب باللغة الفرنسية وأتكلم بالفرنسية لأقول للفرنسيين بأنني لستُ فرنسياً".

ومن هنا نرى أن الجزائر صورتها عالقة في ذهن الأدباء الجزائريين فقد رأيناها منذ ولادة أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية إلى آخر رواية، فهذا الأدب يمكن القول عنه أنه أدب ملتزم بقضايا شعبه ويمثل مرحلة هامة من مراحل تاريخ الشعب الجزائري حتى يبقى راسخاً في الأذهان. فكان بذلك الأدب الجزائري أدب بدوره واحد من أسلحة النضال في ساحة المعركة ضد الاستعمار الذي حاول تشويه صورة الجزائر الحقيقية للرأي العام العالمي.

فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تُرجمت إلى عدة لغات أجنبية عديدة وعرضت على شكل أفلام سينمائية منها الأفيون والعصا ورواية الدار الكبيرة وغيرها، هذا مما يؤكد على مدى نجاعة هذه الأعمال الأدبية وعلى قيمتها الفنية في الساحة الأدبية.

يمكن القول أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بفضل الكُتاب المبدعين قد اهتم بتصوير ظلم الفرنسيين وحارب الاستعمار بفكره وقاوم التغريب والإدماج وصور الفقر والبؤس

والألم الذي عاشه الشعب الجزائري وتذوق مرارة الحياة في ظل الاستعمار وأعطى صورة واضحة عن الجزائر الحقيقية في تلك الفترة بعكس ما رسمها المستعمر الفرنسي.

كان هدف هذا البحث المتواضع هو تسليط الضوء على فترة من أجمل الفترات من تاريخ الجزائر إبان الاحتلال، تاريخ ميلاد الأدب الجزائري و فيه ولدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، تاريخ كُتبت فيه ثلاثية الجزائر من طرف المبدع محمد ديب، وقد حاولت من خلالها جاهداً على أن أدرس شخصية الكاتب وأتعرف على سيرته وعلى أهم مؤلفاته، وعلى أسلوبه في الكتابة الروائية، وألقي نظرة على ثلاثية الجزائر، وكيف كان الكاتب يوحي للقارئ بأمور ستحصل في الواقع وهذا من تنبأ الكاتب نفسه وكيف استطاع الكاتب فعلاً استعمال اللغة الفرنسية كأداة لمحاربة الاستعمار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*** المصادر:**

1- محمد ديب: الثلاثية، تر: سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1968.

2- محمد ديب: الحريق، 1945 م.

*** المراجع:**

-باللغة العربية:

1- ابن منظور: قاموس لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، إصدار 1995م، برمجة وتنظيم طراف خليل طراف مادة "روي". نقلاً عن طبعة دار صادر، بيروت- لبنان، 1990م.

2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930 دار الآداب، بيروت- لبنان، 1969 م.

3- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الطبعة 5، الجزائر، سنة 2007.

4- أحمد منور: ملامح أدبية دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر والتوزيع.

5- أحمد منور:الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008،ص 100 .

6- أديب بامية عايدة: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.

7- إسماعيل، أدهم، وإبراهيم ناجي: توفيق الحكيم، دار سعد مصر للطباعة والنشر. 1945م.

8- جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية،

9- حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الرباط -المغرب، الطبعة 1، 1985م.

10- دوخان أحمد: شخصيات من الأدب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

11- الزاوي أمين: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830 إلى 1982 ماجستير 1983 دمشق – سوريا-.

12- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المُعاصر، دراسات أدبية نقدية، صيدا، بيروت-لبنان، 1967م.

13- عادل فريجات: مرايا الرواية، دراسات تطبيقية في الفن الروائي، منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق-سوريا، الطبعة 3، 2000.

14- عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس مراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة 2، 1982م.

15- عبد الله حمادي: غابرييل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

16- عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938) دار المعارف، مصر ، الطبعة 4، د-ت.

17- عزيزة مريدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971م.

18- فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، الطبعة 1، 1988م.

19- مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، دار الغرب، د.ت.

20- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.

21- يمنى العيد: فن الرواية العربية، دار الآداب، الطبعة 1، 1998م.

22- يوسف الأطرش: المنظور الروائي عند محمد ديب، الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 2004، ص 95 .

-باللغة الأجنبية:

1- Bachir Hadj Ali: Culture Nationale et révolution.

2- **Belhadj Kacem Noureddine**, Le théme de la déposseion dans la trilogie de Med.Dib.
3- **Jacqueline Arnaud**, La littérature maghrébine de langue française, paris publication du sud 1986.
4- **Jean Déjeux**, Mohammed Dib, écrivain Algérien**.**
5- **Jean Déjeux**, Situation de la littéraire maghrébine, (Les Intellectuels algériens et le mouvement national, Alger républicain, 26 avril 1950)
6- **Josette Bryson**, **Mohammed Dib**: La grande maison 1952 et sa réception critique dans la presse, page 89, œuvres et critiques revue internationale de la réception critique des œuvres littéraires de langue française, éd jean michel place 1979.
7- **Malek haddad**, pourquoi des romans? Les lettres française10-11 décembre 1965.
8- **Malek Haddad**,Je t'offririai une gazelle, SNED 1959.
9- **Mohamed Benamar ETTAMAR,** Histoire de la littérature algérienne, édition 1-Alger,1969.
10- **Mohammed Dib**, Habel, éd du seuil, 1977.
11- **Mohammed Dib**, La Danse du roi, éd du seuil 1968.
12- **Mohammed Dib**, Le métier à tisser.
13- **Mohammed Dib**, L'incendie, éd du Seuil 1954.
14- **Mohammedi Tabti Bouba**, La société Algérienne avant l'indépendance dans la littérature.
15- **Mohmmed Dib**, je ne suis pas de ces humiliés. Interview de jean cartier, témoignage chrétien février, 1958 (Jean Déjeux, littérature Maghrébine de la langue française, éd Naaman, 1973)
16- **Naget Khadda**, L'œuvre romanesque de Mohammed Dib, office des publications universitaires, Alger, 1983, (à déclaré M-Dib dans un interview Afrique-action, mars 1961)
17- **Naget Khadda**, Mohammed Dib, cette intempestive voix recluse, centre des écrivains du sud 2003.

-الرسائل الجامعية:

1- **أمين الزاوي،** الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830 إلى 1982 ماجستير، جامعة دمشق -سوريا، 1983م.

2- **عمارة كحلي،** كتابة مالك حداد من منظور جمالية التلقي، رسالة ماجستير، 1999م.

3- **لجبور أم الخير**: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، 2011/2010، وهران-الجزائر.

4- **حبيب فاطمة الزهراء**: ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، دراسة تطبيقية، 2016/2015، وهران الجزائر.

-الكتب المترجمة:

1- **الأعرج واسيني**: نقلاً عن فرانز فانون: معذبو الأرض، ترجمة الدكتور سامي الدروبي، وجمال الأتاسي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، 1979م.

2- **بن سمينة محمد**: في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة، مؤثراتها، بدايتها ومراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م.

3- **الخطيبي عبد الكبير**: في الكتابة والتجربة، ترجمة، محمد برادة، دار العودة بيروت 1980م.

4- **الدار الكبيرة**: ترجمة سامي الدروبي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا.

5- **رواية الحريق**: ترجمة سامي الدروبي ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا.

6- رواية النُول: ترجمة سامي الدروبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا.

7- **مولود فرعون**: ترجمة نسرين شكري، الطبعة 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر- 2014م.

8- ميشيل رايمون : بصدد التمييز بين الرواية والقصة، ترجمة: حسن بحراوي، طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات ومنشورات اتحاد كُتاب المغرب، الطبعة 1، 1992م.

-المواقع الكترونية بالفرنسية:

1-**THENAULT**, **Sylvie**, **Mouloud Feraoun**, un écrivain dans la guerre d'Algérie. septembre 2017, www.Idh-toulon.net/spip.php?article1748.

-المجلات:

1- **رمضان بسطاويشي**: نظرية الرواية لدى لوكاتش، مجلة الأقلام ع 11، 12.

2- **رشيد بوجدرة**: واقع الرواية في القرن العشرين، مجلة الرؤيا، يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، 1982م.

3-**La Nouvelle critique.** No 112. Janvier 1960.

4-**Kateb Yacine**: Revue Dialogue. No. 6 Novembre- Décembre 1963.

-كتب:

1- **بطرس خلاق**: في نشأة الرواية العربية بين النقد والأيديولوجية، الرواية العربية، واقع وآفاق، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 1981م.

2- **صالح مفقودة**: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الطبعة 1، بسكرة- الجزائر.

3- **عزيز نعمان**: جدل الحداثة وما بعد الحداثة في نص "سيمُرغ" لمحمد ديب، منشورات مخبر تحاليل الخطاب، الطبعة 1، 2012دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو- الجزائر.

مواقع الكترونية بالعربية:

1-جورج سالم: محمد ديب في ثلاثية الجزائر حياة شعب في تجربة روائية، منتديات ستار تايمز http://www.startimes.com/?t=28296582؛ تاريخ الدخول للموقع 10 سبتمبر 2017 .

الملاحق

التعريف بـ محمد ديب:

حياة محمد ديب	المؤثرات الثقافية	المؤلفات
وُلد بتلمسان في 21 جويلية 1920 وسط عائلة متواضعة. دَرسَ بتلمسان ثم واصل بوجدة المغربية.	نهاية الحرب العالمية الأولى. 1931 توفي والده.	
	1934 بدأ ينظم القصائد ويرسم اللوحات. التقى بِـ روجي بليسون Roger Bellissant (حماه مستقبلاً) الذي شجعهُ على الكتابة.	
اشتغل معلماً قبل الحرب العَالمية الثانية بين 1938 و1940م قرب الحُدود المغربية (زوج بغال) العقيد لُطفي حالياً ثم مُحاسباً بوجدة. بين 1943 و1944م اشتغل مترجماً (الفرنسية والانجليزية) للقوات المُتحالفة. بين 1945 و1947م مصمم أشكال الزرابي.		1946م نَشر أول قصائده في مجلة الآداب Les Letters التي تصدر بجينيف تحت اسم مستعار (ديابي Diabi).
اشتغل صُحفياً إلى غاية 1950 م.	1948م تعرفَ على ألبير كامو وجون سيناك.	

	1951م تـزوج مـن كليـت بيلسـون Colette Billissant الذي أنجب منهـا 4 أولاد.	1952م صُدور روايته الأولى الدار الكبيرة.
1952م بـ Alger républicain في نفس فترة فترة كاتب ياسين.	تعرف على الأدب الفرنسي الكلاسيكي وكُتاب أمريكا وكُتاب الروس وإيطاليا.	1954م الحريق.
	بعد نفيه سنة 1959 م تدخل كل من أندي مـالرو André Malraux وألـبير كـامو Albert Camus وجـون كـيرول Jean Cayrol ليسـتقر بفرنسـا عنـد عائلـة زوجتـه (Alpes-Maritimes).	1957م النُول Ed Le seuil
إلى غاية 1959م عمل محمد ديب في المراسلة والمحاسبة التجارية.		1959م صيف إفريقي.
1959م نُفي من الجزائر بسبب نشاطه السياسي.		1962م من يتذكر البحر.
تجـول بعـدة دول شـرقية وبالمغرب.		
1964م اسـتقر بضـواحي باريس ثم سنة 1967م انتقـل قرب فرساي.		1968م رقصة الملك.
		1970م الرب في بلاد البربر.
		1973م سيد الصيد.
1974م أسـتاذ بجامعـة كاليفورنيا.		

انتقل إلى فنلندا سنة 1975م. من 1982 و1984م أستاذ مشارك بالمركز الدَولي للدراسات الفرنكفونية. 2003م تُوفي محمد ديب	1978م جائزة جمعية الكُتاب باللغة الفَرنسية. 2003م إشاعات ترشحه لنيل جائزة نُوبل للآداب.	1977م هابل. 1985م أسطح دور سول. 1989م سبات حواء. 1990م ثلوج الرخام. 1992م الصحراء دون عودة. 1994م الصبية العربية. 1995م الليلة المتوحشة. 1998م إذا شاء الشيطان. 2003م الهلوسة.

التعريف بمولود معمرى:

حياة مولود معمرى	المؤثرات الثقافية والسياسية	المؤلفات الروائية
وُلد في 18 ديسمبر 1917 بالقبائل الكُبرى. 1928 أمضى مرحلة المراهقة عن عمه ثم عاد بعدها. أكمل دراسته بثانوية Bugead حالياً ثانوية الأمير عبد القادر بالعاصمة. 1939 مع بداية الحرب العالمية الثانية جُند وشارك فيها لغاية أكتوبر 1940. سجل في كلية الآداب بالجزائر العاصمة، ثم جُند مرة أخرى سنة 1942 بعد التحاق الأمريكان بالحرب العالمية الثانية. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، التحق بامتحان الأساتذة بباريس وعاد بعدها إلى أرض الوطن سنة 1947. 1957 أستاذ الآداب بمدية ثم بن عكنون، أثناء حرب التحرير انتقل إلى المغرب إلى غاية 1962. بين 1965 و1972 درس اللغة		سنة 1952 نشر أولى رواياته تحت عنوان "الهضبة المنسية" سنة 1955 نشر رواية بعنوان "سُبات العادل"

الأمازيغية. 1969 أستاذ بجامعة الجزائر. 1982 أسس بباريس، مركز الدراسات والأبحاث الأمازيغية CERAM ومجلة "أقوال" Paroles 1988 نال درجة الدكتوراه الشرفية من جامعة باريس السوربون.Paris Sorbonne 26 فيفري 1989 توفي بحادث سير.		1965 نشر روايته بعنوان "الأفيون والعصا" 1982 "الجولة"

التعريف بمولود فرعون:

حياة كاتب ياسين	المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية	المؤلفات الروائية
ولـــد في 8 مـــارس 1913 بتيـــزي هيبـــل بالقبائـــل الكبرى. 1932 التحـــق بمدرســـة المعلمـــين ببوزريعـــة، أيـــن تعرف على روبليس. 1935 عُين معلماً بتيزي هيبل. تزوج بابنة عمه. 1946 تم نقله إلى توريت عدن. 1952 عُين مديرا بمسقط رأسه. 1960 عُين مفتشاً للمراكز الاجتماعية. 15 مارس 1962 قتل من قبل المنظمة السرية L'OAS	1951 يتراسل مع ألبير كامو. 15 جويلية 1951، ينتهي من رواية "الأرض والدم" التي تنال جائزة الرواية الشعبية سنة 1953.	1939 بـــدأ روايـــة "ابـــن الفقـــير" و لم تنشـــر إلا ســـنة 1950 على حسابه الخاص. 1954 نُشرت رواية "ابن الفقير" من قبل Le Seuil 1957 نشرت Le Seuil "الدُروب الوعرة" 1962 نشرت Le Seuil يومياته التي كتبها بين 1955 و1960.

التعريف بكاتب ياسين:

حياة كاتب ياسين	المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية	المؤلفات الروائية
وُلد يوم 27 أو 6 أوت 1929 بقسنطينة من عائلة شاوية بربرية. 1934 التحق بالمدرسة القرآنية. 1935 التحق بالمدرسة المدنية الفرنسية بضواحي سطيف بعد انتقال عائلته هناك. 1941 تلميذ داخلي بثانوية ألبرتين Albertin بسطيف والتي تحولت بعد الاستقلال إلى ثانوية القيرواني. 1945 كان في القسم الثالث ويقبض عليه بعد ثلاثة أيام من هذه الأحداث لمدة شهرين ويطرد من المدرسة. نقلهُ والدهُ بثانوية بعنابة. يلتقي هناك بنجمة ابنة عمه المتزوجة. 1947 انتقل إلى باريس.	والده كان محامياً وجدهُ باش عادل (نائب القاضي) أحداث 8 ماي 1945 ومجازرها الدموية. إصابة والدته بالجنون نتيجة حُبها الشديد لهُ واعتقادها بفقدانه. يُكثر من قراءة "بودلير Baudelire ولتريمون Lautréamant 46-47 التحق بحزب الشعب PPA الذي كان يترأسه "مصالي الحاج". ماي 1947 ألقى محاضرة عن الأمير عبد القادر.	1946 ينشر قصائدهُ الأولى.

	انخرط في الحزب الشيوعي الجزائري.	
	أول روبورتاج له كان بالسعودية والسُودان يكشف فيه الاحتيال بالبقاع المقدسة باسم مستعار هو "سعيد العمري"	
بين سنة 1949 و1951 صُحفي بيومية Alger républicain كان زميلهُ في المهنة "محمد ديب".	1950 تُوفي والدهُ.	
1952 اشتغل عاملاً يدوياً Docker الجزائر العاصمة.	1954 تواصل مع برخت طوال الثورة التحريرية.	
ومن هذه الفترة إلى غاية 1959 انتقل إلى باريس وعمل مع مالك حداد.	تنقل بين فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، إيطاليا، يوغوُسلافيا، الاتحاد السُوفياتي.	1956 صدرت "نجمة" من قبل Le Seuil Paris
1962 عاد إلى الجزائر بعد جولة قادتهُ إلى القاهرة ودول أوروبية وإفريقية عديدة (ميلان، بروكسل، تونس، برلين...)	تأثر بكتابات رومبو Rimbaud صاحب مقولة "الأنا والآخر" ونصوصهُ المليئة بالهلوسة ومواجهة القصائد للجنون والثورة والحُرية المطلقة. وأشعار بودلير Baudelaire الزاخرة بالرومنسية.	
رجع يكتب بجريدة Alger Républicain		
بين 1963 و1967 تجول بين موسكو، ألمانيا وفرنسا.		
1967 زار الفيتنام.		
1970 استقر بالجزائر وترك		

اللغة الفرنسية والتفت إلى كتابة المسرح العربية الدارجة. 1971 بدأ العمل مع فرقة المسرح بالقبة وقام بجولات لعرض المسرحيات التي ألفها بكل المُدن الجزائرية لمدة خمس سنوات. 1978 نقل من قبل السُلطات الجزائرية إلى مدينة سيدي بلعباس. 1986 كتب مسرحية عن نيلسون مانديلا. تُوفي في 28 أكتوبر 1989.	تحصل على الجائزة الوطنية للآداب 1987	

الفهرس

فهرس الموضوعات	
الموضوع	**الصفحة**
تشكرات	
إهداء	
مقدمة	أ–و
الجانب النظري	
الفصل الأول: نبذة عن سيرة الأديب محمد ديب	
المبحث الأول: حياة محمد ديب	**8**
أ) مولده ودراسته	**8**
ب)مؤلفاته	**10**
ج) الجوائز المحصل عليها	**11**
د) آثارهُ الخالدة	**12**
المبحث الثاني: اللغة الروائية المستعملة في كتابات محمد ديب	**13**
1-أسلوب محمد ديب في الكتابة الروائية	**13**
الفصل الثاني: نظرة على بدايات الرواية الجزائرية	
المبحث الأول: مفهوم الرواية نشأتها وتطورها	**18**
تعريف الرواية	**18**
أ) ظهور الرواية عند الغرب	**20**
ب)ظهور الرواية عند العرب	**21**
المبحث الثاني: في أنواع الرواية الجزائرية	**22**
1- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية	**22**
2- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	**24**

الجانب التطبيقي	
الفصل الثالث: الجزائر في الأدب والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية	
المبحث الأول: في تجربة الكتابة باللغة الفرنسية	**28**
1- مشكلة التعبير في الأدب الجزائري	**28**
2- استعمال الأدب الجزائري كأداة للتعبير	**30**
أ- اللغة المستعملة	**30**
ب-الجزائر في الأدب الفرنسي	**33**
3- الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية	**35**
4- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	**37**
5- كُتاب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية	**40**
أ) محمد ديب	**40**
ب)مولود معمري	**45**
ج) مولود فرعون	**46**
د) كاتب ياسين	**46**
ه) آسيا جبار	**47**
و) مالك حداد	**48**
المبحث الثاني: الجزائر في ثلاثية محمد ديب	**50**
أ) في رواية الدار الكبيرة	**50**
ب) في رواية الحريق	**54**
ج) في رواية النُول	**56**
المبحث الثالث: في أسلوبية الكتابة الروائية للرواية الثلاثية لمحمد ديب	**58**
الخاتمة	**66**
قائمة المصادر والمراجع	**70**

الملاحق	**76**
فهرس الموضوعات	**86**
الملخص	/

بحمد الله تم

الملخص:

لقد منحت الرِوايَّة الجَزائرية المَكتوبة باللّغة الفرنسية منذ بداياتها الأولى بُعداً إنسانياً وأولوية خاصة للمسألة الوطنية والهويّة الجزائرية، واعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من كيانها والتزمت بها ما قدرت على ذلك. وتظل أعمال محمد ديب وكاتب ياسين مولود معمري وغيرهم، بمثابة مؤلفات كتبت بالعربية ثم ترجمت إلى الفرنسية لأنها حملت بصدق آلام شعبهم، كما سجلت في ثنياها معاناته وأحلامه وكانت هذه الأعمال الأدبية شاهداً على همجية الاستعمار وجرائمه. وفي هذا السياق وصف الشاعر الفرنسي "أراغو" ثلاثية الكاتب "محمد ديب" بمذكرات الشعب الجزائري، وسماهُ بِـ "بلزاك الجزائر" بفضل جهوده الإبداعية وتمثيله الجاد لآلام ومعاناة بيئته الوطنية.

الكلمات المفتاحية: الرِوايَة الجَّزائريَّة المكتوبة بالفرنسية، ثُلاثية مُحمد ديب، اللّغة.

Résumé:

Le roman algérien d'expression française a donné dès le début une dimension humaine et la priorité de la question de l'identité nationale algérienne. Les œuvres de Mohammed Dib, Kateb Yacine, Mouloud Mammeri et d'autres, sont considérés comme étant des travaux, écrites en arabe, puis traduits en français car ils portaient la douleur et la souffrance de la barbarie du colonialisme et de ses crimes. Alors poète français «Aragon» écrivain trilogie «Mohammed Dib», fait remarquer le peuple algérien, et il a appelé les remerciements «Balzac Algérie» aux efforts créatifs et difficiles à représenter la douleur et la souffrance de l'environnement national..

Mots clés: roman algérien écrit en français, trilogie Mohammed Dib, langue.

Abstract:

The Algerian novel written in French, since its first beginnings, gave a humanist dimension and a special focus on the issue of the Algerian identity. In a sense, by considering those two components an inseparable part of its existence it dedicated itself to promoting their tenets. Works such as the ones introduced by Mohammed Dib, Mouloud Maameri, Kateb Yacine and others were so original that one may think that they were written in Arabic and then being translated into English. These works reflected truthfully pains and dreams of the Algerian people. More than this, they bear witness to the colonizer's brutality and criminality. Hence, the French poet "Aragon" qualified the trilogy of Mohammed Dib as the memoirs of the Algerian people and he named the author "the Algerian Balzac". This was mainly due to the creative power and the stern depiction of the Algerian national environment.

Keywords: Algerian Novel Written in French, The Trilogy of Mohammed Dib, Language.